2401

W. Arthur Jeffery

كتاب

النتيجة العصرية

من

المطارحات القرآنية

٢٤٥١

طبعة ثالثة مشروحة

شرحها الاستاذ عبد الله عبد الفادي

صدر من مطبعة النيل المسيحية بشارع المناخ نمرة ٣٧ بمصر

١٩٢٥

BP
131.8
.A23

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن يستمع لدعاء الباحثين، ويرشد في صراطه جميع المسترشدين ﴿وبعد﴾ فانه كان لكل عصر درجته في التقدم العصري في المدنية والآداب وبالتالي في الدينيات ايضاً. ومن اشرف من قمة الجيل العشرين على الاجيال الغابرة رأى البون البعيد بين الماضي المظلم. والحاضر المشرق المزهر. فالتقدم محسوس والارتقاء ملموس. في كل شيء من كل وجه، ولا سيما في الدينيات التي فيها كلامنا الآن

انقضت العصور الخالية والمسلمون ليس لهم الا الاهتمام بحفظ كلم القرآن والانشغال بصرفه ونحوه، والتباهي بفصاحته وبلاغته. وهي كحركة المشغوف بحفظ المنثورات البديعة الظريفة، والقصائد اللطيفة، مكتفين من الابحاث في معانيه بما وصلهم عن المفسرين المجتهدين كصاحب الجلالين والبيضاوي والرازي وغيرهم متخذين اقوال اولئك الشرّاح قضية مسلمة لا يمكن الزيادة فيها او الاعتراض عليها كأنهم فيما كتبوا كانوا بوحي الله يكتبون حتى اذا

اغلقت [١] تفاسيرهم على القارئ في موضع ما من المواضع قال كبارهم وذوو الرأي الاصيل [٢] فيهم «هذا مما لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم» والراسخون المذكورون اسم بلا مسمى كالعنقاء [٣] فتأمل

وكان من عاداتهم ايضاً اغفال امر البحث في المعتقدات المسيحية وتفتيش الكتب الالهية . ناهيك عن حسبان بعضهم لها من الامور الموبوءة [٤] التي لا تمس ولا تجس

ولكنه هو الزمان يلد كل عجيبة وغريبة لا يبقي اهله على حالة واحدة فانه ما بزغت [٥] شمس القرن العشرين حتى ضرب الدهر على تلك الاحوال فانقلبت وهرع بعض المسلمين الى استراق [٦] السمع مما يقول كتاب الانجيل فجعلوا يقابلون بين اقواله وبين كتاب التوراة الذي سبقه . ثم رجعوا الى القرآن ومعانيه لا الى صرفه وبديعه كما كانوا قبلاً يعملون . وحكموا العقل والقلب في معاني النصوص القرآنية وفي اقوال المجتهدين معتمدين على البرهان الساطع والدليل الناصع [٧] ونعم العمل اتاه اولئك المنصفون. فطربت

---

[١] اشكلت وعسر فهمها [٢] المحكم والمصيب [٣] اسم طائر لا وجود له يكنى به عن المستحيل [٤] التي فيها ميكروب الامراض السارية المعدية بمجرد اللمس [٥] طلعت [٦] الاستماع خفية عن التكلم [٧] النقي الخالص من الاشتباه

لهذا العمل النفوس الكبيرة والقلوب السليمة والضمائر الحية وظهرت الحقيقة في ثوبها القشيب [١] بعد ان تزحزح الستار عن جبينها ورقصت الصراحة على ألسنة الحق الناطقة، وتلألأ الاخلاص في فلك الابحاث الشائقة

ومن ذلك ما سأرويه على مسامع القارئين مما جادت [٢] به قرائح [٣] السادة العلماء المذكورين مما أؤمل ان سيكون له الامر المشهور، والذكر المذكور. نفع الله به المخلصين المنصفين من المسلمين والمسيحيين آمين

---

[١] الجديد الابيض كناية عن انجلائها [٢] سمحت [٣] جمع قريحة وهي ملكة يقتدر بها على استخراج المسائل

الاقتراح

كان الشيخ طاهر الهريدي مولعاً بمطارحة[١] العلماء ومنادمة الادباء فخصص في بيته محلاً متسعاً به من المجلدات الضخمة ما يشفي غليل[٢] الباحث في كل علم ومطلب. فاقبل عليه اقطاب[٣] العلم ثلاث ليال من كل اسبوع تنقضي في المساجلة[٤] والمناظرة حتى اذا ما انتصفت الليلة منها عاد كل الى مأواه قرير العين رحيب الصدر

فلما كانت ليلة ٢٣ ابريل سنة ١٩٠٠ مسيحية اجتمع هؤلاء الاقطاب في بيت صاحبهم ولم يفه احدهم ببنت[٥] شفة. فقال صاحب البيت لا اسكت الله للعلماء لساناً ولا عدم الادب منهم حجة وتبياناً. فاشرأبت[٦] رؤوس الجماعة ولكن من غير كلام. وتبادلوا نظرات كأنهم يفكرون في ما لا يقوون على التصريح به وبينما هم كذلك وقف الشيخ زين الدين الافغاني وقال

---

(١) القاء القوم المسائل بعضهم على بعض (٢) حرارة العطش كناية عن الاقتناع بالبحث (٣) جمع قطب كناية عن سيد القوم (٤) المباراة والمسابقة الى الفهم (٥) اي كلمة (٦) ارتفعت

ايها العلماء الاماثل [١] لقد صرفنا جلّ اوقاتنا في دوائر النحو والمنطق والبيان ولم نخرج عما وضعه الاوائل لا بزيادة ولا بنقص. فان كان الغرض من المطارحات معرفة قواعد اللغة وموارداها وتخريجها وتصريفها فقد تم لنا ذلك في دور الازهر الشريف حيث صرفنا العمر في النحو والفقه والتوحيد واستظهرنا [٢] مشتملاتها ومحتوياتها بما جعل لنا القدح [٣] المعلى على سائر العالمين

ولعمري فان النصارى لاحوج منا الى ذلك . وخليق [٤] بهم ان يصرفوا معظم قوتهم لاستجلاء [٥] غوامض [٦] اللغة ليكون لهم ما كان لنا من القدم الراسخ [٧] والباع [٨] الطويل ولكنهم صرفوا نظرهم عن ذلك واهتموا بالمواضيع الدينية فان لهم اجتماعات ليلية فوق اجتماعاتهم الرسمية بايام الآحاد فيها يسبرون غور [٩] آيات الانجيل معبرين عن اسمى المعاني بعبارات بسيطة جداً وكلمات هي في اعتبارنا ركيكة ولكنها تؤثر التأثير العظيم في عقولهم رجالا

---

[١] خيار القوم [٢] حفظنا غيباً [٣] النصيب الاوفر [٤] جدير ولائق بهم [٥] لايضاح [٦] ما عسر فهمه [٧] الثابت [٨] نشر اليدين مع عرض الصدر باع وهو طول قامة الانسان كناية عن القدرة والقوة لنوال الشيء [٩] يبحثون عمق وخفايا

ونساءً كباراً وصغاراً حتى لا يقوى على ملاشاته وعد ولا وعيد . ودليلي على ذلك ما نظرته اليوم فهو كما تعلمون يوم عيدهم الاكبر واني اجابة لدعوة صديق مسيحي ذهبت معه الى الكنيسة . فلما انتظم عقد الاجتماع رقى المنبر قسيسهم واتخذ موضوع خطابه قيامة سيدنا عيسى من الموت . وبعد ان انهى تلك العظة التي وان كانت بسيطة التعبير الا انه اثبت فيها من الانجيل والتوراة قيامة عيسى صلعم واثبت احتياج البشرية في امر خلاصهم الى تلك القيامة وختم بالصلوة ونزل وجلس بين الحاضرين برهة[1] ثم خرجوا الى ردهة المكان الخارجية بغية شرب القهوة فاحاطوا به ذكوراً واناثاً يطارحونه في معنى ما سمعوه منه فمن قائل وما كان الداعي لموته ومن قائل واين شهود قيامته ومن سائل عن شهود صعوده الى السماء. وما زالوا كذلك حتى صرفوا زهاء[2] الساعتين وهو يجيبهم بلسان فصيح ويدلهم على الفصل والآية التي يستشهد بها لتأييد اقواله . وكان لكل منهم كتيب[3] بيده يقلب بين صفحاته ليعرف الآية المقصودة فيقرأها بصوت مسموع ليتمكن السامعون من فهم العبارة

---

(١) وقتاً قليلاً (٢) مقدار (٣) كتاب صغير

وكنت ارى بعضهم وهم صاغون ليس لهم قوة على ضبط النطق بالآية صحيحاً فيساعده القسيس على نطقها وفهم تفسيرها

فقلت في نفسي انه لسلاح متين يضعه هذا القسيس في ايدي النصارى ليذودوا [١] به ذوداً حسناً عن حياض [٢] مسيحيتهم وناديت نفسي قائلا هذا يا زين الدين سبب قوة النصارى في تفهم كتبهم ومعرفتها فانهم لاقدر منا واقوى في مثل ذلك . وان بني اسلامي لفي احتياج شديد الى مثل هذه الطريقة لانارة عقولهم وقلوبهم بنور الحقائق القرآنية

وقام بفكري ان اطرح على حضراتكم هذا الاقتراح الآتي وهو ان نتطارح في الآيات القرآنية وحقائقها المعنوية ونستجلي غوامضها ونفك [٣] طلاسمها [٤] ليظهر الايمان الاسلامي قريب المأخذ من عامة الناس ديناً قويماً عاماً لا ينحصر تحت اصابع الراسخين في العلم . والا فان شئتم الرجوع الى (ضرب زيد عمراً) والاكتفاء بذلك فليضربنه حتى يذوب قفا عمرو او تشل يد زيد

فضحك الحاضرون للنكتة الاخيرة ولكنهم عادوا حالاً الى الوقار يتأملون في اقتراح صاحبهم

---

[١] ليطردوا ويدفعوا [٢] جمع حوض [٣] نفهم [٤] معمياتها أو متشابهاتها

فقام الشيخ احمد المنفلوطي وقال انه لاقتراح خطير ويهم كل محب للاسلام الالتفات اليه فاني ارى انه لا تقوم قائمة للدين الاسلامي بدون معرفة ابنائه لآي القرآن. ولا ايمان حيث لا معرفة. سيما وان قرآننا ليس مسلماً لايدي الراسخين في العلم فقط بل للكل كما تسلم الانجيل والتوراة للكل والا فكيف تعرف مضامينه [١] وكيف يلتزم الكل بما لا يفهمه الا الخواص ؟ ألا ترى ان نساء النصارى يقرأنَ الانجيلَ للاحداث ويشرحن لهم الحقائق لتربيتهم على المبادئ المسيحية منذ نعومة اظفارهم ؟

وكيف نتأخر عن اجابة هذا الاقتراح ونحن بما وهب لنا الرحمن من المعرفة والادراك علينا ان نشارك الراسخين في مسئوليتهم نحو ابناء جنسهم كما شاركناهم في مقامهم ؟ فاذا لم نقم بتفسير الآيات القرآنية وحل معمياتها وتحريض [٢] صغارنا وتقوية كبارنا والا امسى الاسلام اسماً بلا مسمى والقرآن في نظر المهملين لدرسه طلسماً بلا معنى

اتظنون يا حضرات الافاضل ان الانجيل والتوراة خاليان من المعميات والغوامض ؟ كلا بل ان لدى النصارى مسائل كثيرة

---

[١] ما يحتويه من المعاني [٢] الاغراء والتهييج

كالثالوث والوحدانية والتجسد والاختيار وبعض النبوات صعب تفسيرها ولكن لكثرة الاخذ والرد فيها صارت هي الاكثر دوراناً على الالسنة واكثر آيات الكتاب ظهوراً فلذلك ارى قبول هذا الاقتراح تأييداً لقرآننا وصوناً [١] لشبابنا وعوامنا الذين اعدمت الخمرة جسومهم واهلك الحشيش والافيون عقولهم

ثم قام الشيخ ناجي المغربي وقال انه لاقتراح شريف غير انه وعر [٢] المسلك وخيم [٣] العاقبة . فانه من المعلوم ان المناظرة في موضوع ما تستلزم الاستدلال القوي لاثبات رأي المناظر ايجاباً [٤] وسلباً [٥] . فما قولكم اذا استظهر الوجه السلبي ؟ واين تذهبون من وجه الدليل ومن حد البرهان هل تختفون ؟ وكيف ترتاحون اذا تساوى الطرفان ووقعت الآية تحت الاحتمالين ؟ ومن يعصمنا [٦] من التحزب والتشيع وتفريق جامعتنا الامر الذي اضعف النصارى والذى لولاه لاخضعوا العالم اجمع لدينهم وكتابهم ! ولكنهم تشاغلوا في اقناع بعضهم ومحاربة انفسهم بما اضاع وقتهم سدى وما كان

---

(١) وحفظاً (٢) صعب السلوك (٣) ثقيل وسيء المنتهى (٤) اثباتاً
(٥) ونفياً (٦) يحفظنا

سبب هذا الشاغل العظيم والتفريق الجسيم الا اختلاف علمائهم في تفسير آية او آيات

الا اني لا اقصد بذلك تثبيط همتكم ولا رفض الاقتراح بل اني ارغب ان تحسبوا النفقة للامر قبل الشروع فيه حتى اذا شرعنا يكون الحق ضالتنا [١] والاخلاص شعارنا [٢] والله الهادي وعليه الاتكال

فصادق الجميع على قبول الاقتراح وما اجمعوا على قبوله حتى دخل الخادم بالقهوة وبعدما شربوا وقف الشيخ بدر السنوسي وقال

نعم الرأي ما رأيتم الا انه لا بد من وضع طريقة للسير في العمل بموجبها فأقترح ان تكون آية المفاوضة قوله تعالى «وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً [٣] حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع [٤] الى حين» (سورة البقرة: ٣٥ و٣٦) وان يتعين على حضرة العالم الكامل الشيخ طاهر الهريدي افتتاح الاجتماع بعد اسبوعين كاملين يستعد في خلالهما كل منا بما يفتح الله عليه

---

[١] ضائعتنا [٢] علامتنا التي نتعارف بها [٣] عيشة طيبة [٤] انتفاع

وبعد انتهاء اقوال المفتتح تعطي الحرية للحاضر فيتكلم من شاء بما شاء من اعتراض او نفي او اثبات فصفق الجميع وصادقوا على ماذكر وانفرط [1] عقد اجتماعهم على وعد العودة بعد نهاية ذلك الاجل المضروب

---

[1] تفرق

المطارحة الاولى

قول ذوي الفضل

في

نيابة آدم عن النسل

حان موعد التقاء القرين [١] بالقرين في حومة جدال التقى فيها ابطال العلم و تبارز فطاحل [٢] الفقه والتوحيد في منزل الشيخ طاهر الهريدي فاجلسهم بعد الترحيب بهم على فرش من استبرق [٣] وقدم لهم المرطبات [٤] في كؤوس من ذهب فشربوا زلالا، شرابا حلالا، حتى اذا ما دقت الساعة دقاتها المؤذنة [٥] بالاخذ والرد والدخول والخروج استوى الشيخ طاهر على كرسي من العاج [٦] وبسط يديه قائلا «الفاتحة ! الفاتحة» فخشعت قلوب الكل وانسدلت [٧] حجب الاهداب [٨] على مقاصير [٩] الاحداق [١٠] وانبسطت الاكف

---

(١) الكفؤ المماثل لخصمه بالشجاعة (٢) كبار رجال العلم (٣) ثوب حرير غليظ (٤) الحلويات المائعة الباردة (٥) المعلمة (٦) ناب الفيل (٧) ارتخت (٨) ما نبت من الشعر على الاجفان (٩) كناية عن تجاويف العيون شبهها بالمقاصير جمع مقصورة (١٠) معظم سواد العيون

وتحركت الشفاه ونطقت الالسنة تقول : «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين» ...

ثم انتصب الشيخ طاهر وقال لقد عينتم عليّ افتتاح هذه المطارحة واخترتم لها قوله تعالى في سورة البقرة « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين »

واني احمد الله الذي جعل العلماء نبراساً[1] يستضيء به طالب علم وارشاد فالكواكب تزين السماء ، والجبال تحفظ توازن الارض ، والملح لاصلاح الطعام ، والنور لاكتساح حالك الظلام ، والعلماء لتثقيف[2] العقول وتهذيب الاخلاق وتقويم الاداب والعواطف بمحكمات[3] آي[4] التنزيل[5] . وانتم يا اقطاب العلم والادب هامة

---

(١) مصباحاً (٢) لتهذيبها وتقويمها (٣) هي التي احكمت فلا يحتاج الى تأويلها لوضوحها (٤) جمع آية (٥) اي المنزل اسم القرآن

العلماء وفخر الادباء اليكم تشخص [١] العيون منتظرة فضلة مما احرزتم يدفع بها اولئك الجياع شر جوع افضى بنفوسهم الى التلف وبمعارفهم الى العدم ومثلكم غياث [٢] الضعيف وسند المظلوم وها اني الليلة اضم صوتي لاصواتكم طالباً ان يجعل المولى ما شرعنا به هدى للناس كاشفاً لحيرتهم . وبعد فقد رأيت ان هـذه الآية تتضمن

(١) ان سكن آدم وزوجه الجنة كان مطلقاً غير مقيد بزمن قالت الآية « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة » فلو لم يزلهما [٣] الشيطان عنها لبقيا فيها مع نسلهما خالدين . ولو كان مسكنهما الجنة لمدة محدودة كحال سكنهما في الارض لجاز التحديد في الاولى كما جاء في الثانية قوله «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين »

(٢) ان سكنهما الجنة كان تحت شرط الطاعة الكاملة للمولى . فلقد كانا تحت النهي الالهي بعدم الاكل من «هذه الشجرة» قيل « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » اي العصاة . فلما انتهكا حرمة النهي واصاغا [٤] لابليس سمعاً يوم اقسم لهما بالله انه لمن

---

[١] تتفتح العيون جامدة من غير حركة تعجباً أو اعجاباً [٢] نجدة

[٣] يزلقهما ويوقعهما [٤] اطاعاه في ما صاغه من الكذب وزخرف القول

الناصحين فاكلا من الشجرة التي قل لهما ابليس انها شجرة الخلد[١] واطمعهما في الاقتراب منها والتمتع بثمارها صدر الامر الالهي لهما بالهبوط ولو انهما حفظا وانتهيا لآمنا وسلما ولكنه امر الله وكان مقضياً

(٣) انهما في حالة الاكل من الشجرة واحتمال القصاص (الذي هو الحرمان من الجنة على الاقل) كانا نائبين[٢] عن كل ذريتهما. بدليل قول الآية «اهبطوا[٣] بعضكم لبعض عدو». وقوله فيها «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» فلو كان الكلام موجهاً الى آدم وزوجه لجاء في صيغة المثنى «اهبطا. بعضكما. ولكما» اما وقد جاء بصيغة الجمع فظاهر ان توجيهه اليهما مع ذريتهما

وعندي دليل آخر وهو تكرار هذه العبارة في الآية التي بعدها فقد جاء قوله «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً» (البقرة) ثم قوله «فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون

---

(١) اي ان من اكل منها يخلد في الجنة ولا يموت ابداً (٢) اي قيمين مقامهم لولايتهما عليهم أو لانهم كانوا فيهما فكأنهم من اعضائهما واجزائهما الجسدية

(٣) الامر بصيغة الجمع يفيد ان الخطاب لآدم وحواء وذريتهما

والذين كفروا الخ » فظاهر الامر جداً بما لا يقبل التأويل ان الباري اعتبر آدم وزوجه نائبين عن نسلهما[١]

ولديّ دليل آخر وهو ان العداوة المذكورة لم تقع بين آدم وزوجه ولكنها وقعت بين اولادهما كما وقع بين قابين[٢] وهابيل فان الاكبر قتل الاصغر

ونيابة آدم عن نسله هي بيت قصيد هذه الآية. وهي حقيقة مثبتة عند اهل الكتاب واهل الانجيل مثبتة ايضاً عندنا نحن اهل القرآن لا مفر من التسليم بها مهما كانت نتائجها. وانها لو لم تكن مذكورة في قرآننا مع وجودها صريحة في التوراة والانجيل لما كان لنا ان نكررها بغير حجة ظاهرة خالية من التعصب والمكابرة فما اشهرها وقد جاءت في الكتب الثلاثة بما لا يجعل للشك في تصديقها طريقاً ولا للريب في نتيجتها سبيلاً فمن رأيي اثباتها والاعتراف بها كبقية الحقائق القرآنية الواجب تعلمها والتعليم بها. وفوق ذلك فهاتوا ما عندكم تأييداً للحق وازهاقاً[٣] للباطل

---

(١) لاننا لو قلنا ان الخطاب لآدم وحوآء والشيطان لم يصح لانه يستحيل ان الشيطان يتبع الهدى وان يكون من الذين لا خوف عليهم بخلاف ذرية آدم فتأمل (٢) هو قابيل بلغة القرآن (٣) ازالةً

فقام الشيخ ناجي المغربي قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم (وبعد) فاني متخوّف جداً من نتيجة هذا المشروع واخشى ان يمس كرامة الدين والقرآن ولكن يطمئنني ان الباحثين هم من جهابذة[١] الدين الحنيفي[٢] يغارون على سلامته جهد[٣] ايمانهم (تصفيق) وحيث ان الامر كذلك، وبما ان الحقيقة هي بنت البحث، فلا جناح[٤] ولا خوف من التجوال[٥] في هذا المجال

واني انكر على حضرة العالم العامل الشيخ هريدي القول بوجوب الاعتراف بنيابة آدم وزوجه فلقد كان النسل وقتذاك في الاصلاب قبل الارحام ثم انه يحتمل ان يختار النسل غير آدم وزوجه نائبين عن البشرية فقد جاء من ذلك النسل ابرهيم الخليل وابو الاسباط (يعقوب) والخضر (اخنوخ) وادريس والياس (ايليا) وهذان هما اللذان اسري[٦] بهما فلم يذوقا الموت. وموسى وعيسى صفوة النبيين ومحمد خاتم المرسلين صلى الله على جميعهم وسلم تسليماً

---

(١) الحكماء الناقدين العارفين جمع جهبذ فارسي الاصل

(٢) الحنيف المائل عن دين الى دين. وفي القرآن «اتبع ملة ابراهيم حنيفاً»

(٣) مقدار طاقة (٤) بضم الحيم وهو الاثم (٥) من جال بعضهم على بعض في الحرب بمعنى طاف ودار (٦) من سرى واسرى اي سار ليلاً والصواب ان يقول اصعد بهما الى السماء

كثيراً. ولا يبعد في دائرة الاحتمال انه لو طلب من الجنس البشري انابة نائب عنه لاختار احد الذين ذكروا لا آدم ولا زوجه

وعلى الثاني فاذا فُرِضَ وجوب منوِّب وجب ان يكون من جانب آدم اي من نسله المشترك معه في الصفاء والشقاء تعالى الله علواً كبيراً عن هذا المقام فهو مبدع آدم وليس من آدم. وليس من الشرع ان يكون الحكمَ القاضي على آدم وجنسه بمقام المنوِّب .والله ليس بظلام للعبيد

والدليل النقلي الالهي هو القول الالهي الوارد تلو آية المطارحة «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم» ومغزاه ان آدم استغفر بما اوحي اليه « ربنا ظلمنا انفسنا » فقبل توبته فان كان آدم بحكم الآية الاولى زل وعصى فلماذا لا يكون بحكم الآية الثانية نائباً عن نسله في توبته ؟

والخلاصة على ما ارى ان آدم لم يكن نائباً عن نسله فيما اتى من زلة ومتاب واني اقول بان « لا تزر وازرة وزر اخرى » اي لا تحمل نفس حمل اخرى على ما جاء في قرآننا الكريم

وقف الشيخ احمد المنفلوطي وبعد ان بسمل[1] وحمدل[2]

---

[1] اي قال بسم الله [2] قال الحمدلله

قال لقد اصاب والله صاحبنا الشيخ ناجي في الذي قال وازيد عليه تفنيداً[٢] لما اتاه الشيخ هريدي باننا لسنا مقيدين بما ورد في كتب اليهود والنصارى بل هم المقيدون بما جاء في كتابنا ذلك لشبهة التحريف الواقعة عليهم من جهة ومن الجهة الاخرى لان القرآن جاء ناسخاً لما قبله فصارت اقواله حجة . فلا يقوم الدليل علينا بالتزام الاعتقاد بنيابة آدم بناء على ورودها في التوراة والانجيل الا اذا وردت في القرآن فانا بها ملتزمون

عدا ذلك فاننا اذا سلمنا بنيابة آدم عن جنسه في ذلك الخطأ وجب ان ننتظر شفيعاً عاماً لذلك الجنس كله او بعبارة اخرى لآدم وجنسه بل وفوق ذلك وجب ان نبتدىء الشفاعة من زمن آدم فيخلص بها آدم بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن نسله وفي هذا القول مساس عظيم بنبي جماعتنا المسلمين (صلعم) مما لا محل لايراده الآن

بقي علينا نقض قوله عن صيغة الجمع « اهبطوا » وما ماثلها التي اتخذها دليلاً على اعتبار توجيه القول لآدم وذريته فما ضرنا لو قلنا ان الصيغة المذكورة هي صيغة التعظيم للمفرد وليس للجمع

[٢] تكذيباً ولوماً وتسفيه رأي

وبذلك ينتفي وجه الاحتمال لاثبات نيابة آدم عن ذريته

ومما ذكرته الآن ، ومما ذكره رصيفنا الشيخ ناجي ، يظهر جلياً ان الآية لا تفيد قط اثبات نيابة آدم عن نسله ولا عبرة بما ورد في التوراة والانجيل عن ذلك ما دام القرآن لا يؤيد ما فيهما

وقف الشيخ بدر السنوسي وقال انه لا مفر من وجه الدليل الذى اتاه رصيفنا وزميلنا الطائر الصيت الشيخ هريدي وان مقام الاسلام لا يخشى اثبات النيابة لآدم عن نسله بل بالاحرى تعززها آية المطارحة بما لا يقوى عليه مجادل فشهادة الواقع في عالم المحسوسات ناطقة بذلك. مثبوت ان آدم وزوجه تعديا نهي الرحمن فاقتربا من الشجرة التي قيل لهما «ولا تقربا هذه الشجرة» ومثبوت ان قصاصهما هو ايقاع العداوة والموت فقد قيل « بعضكم لبعض عدو » وهو ما يفيد العداء وقيل «ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين» وهو ما يفيد عدم الخلود في الارض بل الموت صراحة — ونحن اذا قلبنا لحاظنا[1] في ذرية آدم وجدناها تتحمل ذلك القصاص عينه عداء وموتاً وهو على ما علمت قصاص الذنب الذي ما مدت اليه غير ايدي آدم وزوجه . وهنا ليس لنا الا نتيجة من

[1] نظرنا بمؤخر طرفنا كناية عن التأمل

اثنتين . الاولى اما ان آدم وزوجه كانا نائبين عن نسلهما فيكون اشتراك النسل مع نائبه في احتمال القصاص عدلاً وحقاً

والثانية ان آدم وزوجه لم ينوبا عن النسل فيكون وقوع قصاص خطية آدم على من لم يشترك معه اثم فظيع وظلم ظاهر تعالى الله علواً كبيراً عن اتيانه فهو اعدل الحاكمين . والخلاصة ان النيابة ثابتة بدليل اشتراك النسل في قصاص خطية آدم

اما دليل صاحبنا الشيخ ناجي فاخاله ليس الا من قبيل ما اشتهر عن حضرته من البراعة [١] المنطقية التي تعود ان يدهش بها سامعيه ويسحر مسامريه [٢] الا اني بكل احترام لعلمه الشريف ادحض [٣] دليله العقلي بمثله فقد قال انه لا نيابة حيث لا منوّب (هذا حق)—وقال وان وجد منوب فيجب ان يكون من جانب القاصر او المتهم (وهذا فلسفة)

وعلى القول الاول ان الله هو الذي نوب آدم وزوجه عن نسلهما بدليل اصداره القصاص على النسل فالنيابة حق وثابتة بموجب قياس حضرة الشيخ الفاضل . وعلى القول الثاني وهو وجوب وجود المنوب من جانب القاصر او المتهم . فذلك لا يفهم منه ضرورة

---

(١) التفوق (٢) محادثيه ليلاً (٣) اطرد وارفض

وجود النائب من قرابة المتهم او القاصر كما انتخبت فلسفة صاحبي المفضال فقد حضرنا قضايا عن مواريث رأينا فيها ان الاوصياء عن القاصر من غير اقربائه لحفظ حقه له من اهله وذويه فيصبح الوصي وهو اجنبي عن القاصر واقفاً في جانبه له ما له وعليه ما عليه كذلك كان قد نوّب الرحمن آدم عن نسله

ثم اننا لو تأملنا في حالة سيدنا آدم صلعم بالمقابلة مع احوال نسله بما فيه من الانبياء والرسل والمؤمنين والمجاهدين لوجدناه يفضلهم بنسبة مايفضل الوالد ابنه والاصل فرعه والكل جزءه ولذلك كان آدم وزوجه خير من صلح اعتبارهما للنيابة عن النسل

وكما ان للمحكمة الحق ان تقيم قيماً [1] او وصياً على القاصر دون ان تأخذ رأيه فللخالق كمال الحرية وكل الحق في اعتبارهما دون غيرهما نائبين عن النسل وهو الذي وان كان لا يسأل عما يفعل فكل اعماله اساسها الحكمة التي لا تنتقد والعدالة غير المحدودة

واما دليل رصيفنا النقلي فادفعه بمثله أيضاً . لقد قال ان آدم استغفر وتاب وقَبِلَ الله توبته بدليل قوله: «فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم». وبذلك رفع عن آدم ما وقع عليه

[1] هو الذي عهد اليه بحفظ المال دون التصرف به

بحكم الآية السابقة . بل قال ان هذه الآية رفعت عن نسله (بفرض نيابته عنه) ما اوقعه فيه محكم الآية السابقة (العداء والموت)

ولكني اقول لحضرته ان كان الامر كما تقول ومحا الله خطيئة آدم وتاب عليه وغفر له فما معنى قوله تعالى في الآية الثالثة «قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدىً فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار الخ» . ما معنى المغفرة مع الاصرار على ايقاع القصاص على المذنب . ما معنى قبول التوبة مع عدم قبول ارجاعها الى الجنة . ألسنا حتى الآن نتحمل نفس ذلك القصاص عداء وموتاً فلا نحن ولا آدم خلصنا من حمل القصاص لخطية قيل لنا ان ابانا آدم تاب عنها وقبلت توبته . نعم تلقى آدم من ربه كلمات ولكن من ذا الذي يجسر على تبيانها وقرآننا الكريم لم يفصح عن حرف منها . او هي غابت في صدور الحافظين وامسكها الله عن السنتهم فلم يستطيعوا ذكر شيء منها . فلماذا نجهد النفس فيما لا طاقة لها به لتأويل كلمات لا يعلمها الا الله فقط ؟ ؟ ؟

دع ذكر توبة آدم المبنية على تلك الكلمات السرية المخفية عنا ولا نتخذها دليلا نؤيد به ما نريده من المعلنات لانه لا يجوز اقامة

المبهم [١] دليلا لتأييد المظهر [٢] بل العكس بالعكس كما افاده ائمة البيان [٣] واقطاب المنطق [٤] وفحول [٥] العلم

وقل بحكم الآية الثانيـة ان القصاص لحق بذرية آدم فان أتاهم هدى واتبعوه خلصوا او خالفوه هلكوا وفي ذلك فصل الخطاب وبمنتهى الصراحة ان آدم كان نائباً عن نسله بلا ريب

اماقول الاستاذ البارع والشيخ الكامل الشيخ احمد المنفلوطي فانني أرى فيـه رائحة التحامل على التوراة والانجيل فقد نسب حضرته اليهما شبهة التحريف وقال بعدم تقييدنا بكتب النصارى واليهود على اني لا أرى ان مثلنا يقول بما لم يقم عليه دليل

وان شئتم فلنتطارح مرة اخرى فيما اذا كان قد وقع في التوراة والانجيل تحريف ام لا . فاذا اثبت البرهان تحريفهما اعرضنا عنهما او نفاه عنهما رغبنا فيهما. أفلا نجد ان نبينا صلعم امر بسؤال اهل الكتاب او اهل الذكر ومن ذلك قول الرحمن له صلعم «وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد

---

(١) المشتبه المستغلق المعنى والذي لا يفهم الا بقرينته (٢) البين المعنى
(٣) البلاغة والفصاحة (٤) وسادات علم الميزان (٥) الغالبون خصومهم في العلم

جاءك الحق عن ربك فلا تكونن من الممترين[١] » (سورة يونس : ٩٤) «وما كان هذا القرآن ان يفترى[٢] من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين» (يونس ٣٧) وعليه فالقرآن مصدق لما قبله اي للتوراة والانجيل وفي ذلك افصح بايضاح عن وجوب احترام الكتب المذكورة والثقة بها فلم يكن القرآن ناسخاً[٣] لها بل شاهد بصدقها ويؤيد[٤] حقها والا لما قبله نبينا عليه السلام ولا اطاعه كما افادته آية الشك التي اوردناها الآن

اما قول حضرته بالتخوف من الالتزام[٥] بالاقرار بشفيع عام تبتدئ شفاعته من زلة آدم متخوفاً بان هذا يمس مقام نبينا صلعم فهذا شأن رجل اخذ في طريقه وجعل عما اذا كان يوفق الى قنطرة[٦] يعبر عليها وعما اذا كانت تلك القنطرة سليمة متينة ام مخيفة وعما اذا وعما اذا الخ حتى امتلأ قلبه رعباً وفزعاً ولكن بحكم الضرورة ظل في سيره حتى اذا ما وصل الى القنطرة وجدها على ما يحب فعبر ضاحكا على هواجسه ووساوسه الكثيرة التي تسلطت عليه كل الطريق

---

(١) الشاكين (٢) يختلق ويصطنع (٣) مزيلاً ومبطلاً (٤) ويقوي ويثبت (٥) الايجاب (٦) جسر أو كوبري

نحن علينا ان نسلم بالحقيقة لانها حقيقة والعاقل من قبل الحقائق وخضع لنتائجها . وما تخوفنا الا لقلة بحثنا في المسائل التي تعودنا قبولها بلا فحص الا في الفاظها وصرفها ونحوها ومجازها وكنايتها صارفين النظر عن الوقوف على جوهر الحقيقة فيها

واما قوله عن الصيغة [1] انها صيغة تعظيم فهذا ربما كان من جنابه على سبيل التحرش او التحكك الجدلي يريد به ان يحرشنا للمناظرة لا ان نكتفي بما سمعنا فيذكر نقطة ضعيفة يسهل الرد عليها لتكون مفتاحاً للكلام . وعلى كل حال اقول ان شراح القرآن اجمعوا على اعتبار توجيه آية اهبطوا الى آدم وذريته وفي اعتقادي انه لا تعظيم لمن يحكم عليه بالهبوط قصاصاً . والقصاص والتعظيم ضدان لا يجتمعان

والخلاصة عندي ان القرآن الكريم اثبت نيابة آدم عن نسله واثبت اشتراك النسل في قصاص خطية آدم وهذا مما لا مفر من الاقرار به

وبعد ان جلس الشيخ بدر غاص العلماء الاربعة في بحر السكوت والحقيقة تتجلي بقوة البرهان الايجابي في وسط ذلك

---

[1] هيئة الكلمة

الميدان الوعر[١] فنظروها وقبلوها وخضعوا لسلطة جمالها وآثروا[٢] احترامها فاجمعوا بتأييد القضية فقالوا «لقد شهد القرآن بنيابة آدم عن نسله له ما له وعليه ما عليه»

الا ان الشيخ احمد المنفلوطي وقف قائلاً هل من مانع يمنع من يريد الحضور معنا من اخوتنا العلماء؟ قالوا لا مانع فاننا نقبل كل فاضل على غاية الرحب والسعة. قال وما يكون موضوع المطارحة الآتية باذن الله. قال الشيخ الهريدي يكون موضوعها «الشفيع العام» وآية المطارحة هي قوله «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير[٣] ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له» (سورة سبا ٢٣) وتعطى رياسة الحفلة لحضرة الشيخ ناجي المغربي

شرب القوم القهوة وخرجوا وفي النفوس اشياء ظهرت دلائلها على وجوههم مما جعلني اتوقع وقوع ما ليس في الحسبان وقلت لله الامر من قبل ومن بعد. وموعدي الاجتماع بهم لاقص على قرائي ما يكون من امر هؤلاء الفحول المالكين زمام المعقول والمنقول

---

[١] العسر الصعب المسالك [٢] قدّموا [٣] معين

المطارحة الثانية

بحث العلماء الاعلام

في

قضية الشفيع العام

دوى خبر المطارحة الاولى فتحرش فحول العلماء للحضور بالجلسة التالية فما حان وقت التئامها حتى غص المكان بالقاصدين واستوى كل في مكانه وبعدئذ قام الشيخ ناجي المغربي وتلا الفاتحة وقال ان مدار البحث هذه الليلة عن الشفيع العام وقد اتخذنا لذلك قول القرآن «قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له» (سورة سبا)

يا حضرات السادة العلماء معلوم ان الجنس البشري بحكم ما ظهر من الآية التي سبقت المطارحة الماضية عليها وقع تحت عوامل الفساد الذي سرى من اصلاب [١] الاصول [٢] الى ارحام [٣] الفروع [٤] حتى امسى الجنس كله يشعر [٥] شعوراً قوياً بحاجته الشديدة الى

---

(١) جمع صلب (٢) الاباء (٣) جمع رحم وهو محل تخليق الجنين
(٤) الاولاد (٥) يحس

شفيع [١] يشفع له لدى المولى . فلجأ بعضهم الى ملاك من ملائكة الرحمن وآخرون الى نظير من بني الانسان . وجميعهم اسوة [٢] واحدة في التذلل والخضوع والتضرع لذلك الشفيع يكرمونه ويعبدونه عبادة تقرب من عبادتهم للخالق ويحلفون باسمه ويبتنون له الهياكل والمساجد كما هو المشاهد الآن حتى بين اعرق [٣] الامم الحاضرة واكثرهم مدنية وحضارة فلليهود موسى وللنصارى عيسى المسيح وللمسلمين محمد صلى الله على جميعهم وسلم. فالشعور عام عند كل طبقات البشرية بلزوم وجود شفيع يخفف اوصابها [٤] ويزيل اتعابها ويفرج غمة [٥] قلبها ويشرح لها صدرها

على ان استشفاع الانسان بالانسان الى الدرجة المعلومة التي فيها يكون الشفيع موضوع رجاء المستشفع عنهم وثقتهم ذلك شرك بالله بلا مرآء اذ لا واسطة ترجى لجلب منفعة او لمنع مضرة لنصرة قوم او لاذلال آخرين الا وهي شرك بالله وكفر مبين كما ذكره شيخ الاسلام الامام تقي الدين ابو العباس رضى الله عنه قال « وان اراد بالواسطة انه لا بد من واسطة في جلب المنافع ورفع المضار مثل ان

---

[١] وسيط [٢] قدوة ومتابعة [٣] أفخر وأقدم [٤] آلامها وامراضها
[٥] كربة تغطي القلب

يكون واسطة في رزق العباد و نصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجون اليه فيه فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله اولياء وشفعاء . على ان الشفاعة لله ولمن يأذن الله له فيها»

وعندي ان الله لم ولن يأذن لمخلوق آخر ان يشاركه في سلطان ربوبيته ويشاوره في كيفية اسباغ [١] مراحمه على ذوي الحاجات فقد قيل « الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي [٢] ولا شفيع افلا تتذكرون» (سورة السجدة)

فالشفاعة امر خاص بكائن هو الله او من يعينه لذلك تحت شروط محدودة لا يمس فيها الشفيع المنتدب [٣] حقاً من حقوق الله عز وجل . واننا تحت هذا التحديد نقبل ان لكل امة شفيعها وبما ان امة الاسلام «خير امة اخرجت للناس فبالنتيجة يكون شفيعها اعظم شافع عليه افضل الصلاة والسلام وهذا هو الذي رأيته في الآية ويتكلم كل من حضراتكم بما حضره والله الهادي الى الصواب

جلس الشيخ وعقب جلوسه سكوت تام فقلت في نفسي ترى

---

(١) اتمام (٢) يلي اموركم ويدبرها (٣) المدعو والمعين

يا عبد الله ما هذا السكوت الطويل أأرتجت [١] ابواب البحث امام هذه القرائح [٢] الوقادة [٣] وعهدي بها تاج [٤] كل باب وتذلل الصعاب او آنس [٥] القوم شراً فاتقوه واجمين [٦] ولكنه سرى عن صدري الهم بقيام الشيخ احمد المنفلوطي فانه وقف وقال

عجبت لسكوت سادتي العلماء ولم افهم لذلك تأويلاً . على اني اقول مؤيداً كلام سابقي الشيخ ناجي المغربي ان مدار الشفاعة على تقوى الله وارضائه تماماً فمن عاش في الاخلاق الكريمة والآداب السليمة حافظاً السنة متمماً الفرض كانت اعماله هذه شافعة فيه يوم الدين ومن كفر او استباح المحرّمات او عاش بلا ذمة غير مؤتمر [٧] باوامر الرحمن ولا منتهٍ [٨] بنواهيه فلقد يخسأ [٩] ويكون نصيبه مع الخاسرين ولو كان عيسى قابضاً على يمناه ومحمد على يسراه لاسقِطَ من بينهما الى قرار عذاب مهين ويؤيد قولي هذا ما قاله سيدنا محمد صلعم لبني عبد مناف [١٠] « يا بني عبد مناف اني لست أغني عنكم

---

(١) أغلقت (٢) جمع قريحة وهي الغريزة (٣) السريعة النشطة
(٤) تدخل (٥) علموا (٦) ساكتين حزانى (٧) عامل بالاوامر
(٨) متباعدين عن المحرمات (٩) يطرد بالخزي والعار (١٠) جده الثالث

شيئاً عند الله فلا تأتوني بالانساب ويأتيني غيركم بالاعمال فان خيركم عند الله اتقاكم»

وان مقام الرسل والانبياء ليس مقام شفاعة بمعنى الوساطة بين الله والمجرم بل انه مقام النذير [١] الهادي [٢] لقومه فقد جاء في سورة القصص «وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر [٣] قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون» (القصص ٤٥). وعليه فان سيدنا محمداً نذير لقومه لا شفيع لهم وانه اذا كان وهو صفوة [٤] النبيين ليس له مقام ومرتبة الشفاعة فبالاحرى [٥] ليس لغيره من الرسل والانبياء. ولا يطعن هذا في قول الآيه «الا لمن اذن له» فهذا من باب استطاعة الرحمن كل امر لو اراده. فلو اذن لبشري ان يكون شفيعاً لما منعه تعالى مانع عن ذلك ولكنه لم يأذن صريحاً ولا تلميحاً لفرد من الانس ولا من الجن بذلك. انما على الوجه التقريبي يمكن الاستنتاج انه اذا وجد ثمت [٦] بين افراد البشر من يأذن له الله بذلك كان سيدنا محمد صلعم فارسها الطريد [٧] وصاحبها الفريد — هذا ما عندي . .

---

(١) المبلغ عن الامر المخوف (٢) الدليل الدال (٣) لتبلغ (٤) خلاصة
(٥) بالاولى (٦) هناك (٧) المطارد للاقران في الميدان

جلس الشيخ حينئذ وما كنت ترى بعد جلوسه الا الرؤوس موضوعة على الاكف [١] تحملها السواعد [٢] تكاد تنحني تحتها لثقل ما كان يدور بتلك الادمغة الكبيرة من الامور الخطيرة وابواب الافواه مغلقة تحت الضغط الشديد كأنها لتمنع تطاير الشرر من نيران تأججت في الصدور لو التهبت لما كان من السهل اطفاؤها او اخمادها

وقف الشيخ زين الدين وقال لقد رأيت من سبقني للتكلم عن هذه الآية كمن يتكلم عن شرُف [٣] البيت دون ان يدخله ويصف محتوياته [٤] ورأيت بقية اخوتي العلماء ساكتين كانهم يوجسون [٥] شراً اذا هم نطقوا بما يبطنون [٦] . وليس هذا المنتظر من امثالنا في مثل هذا الموقف . من للحقيقة ينصرها ويؤيدها غيركم يانخبة الادباء واني ثقةً في عالي فطنتكم اجول جولة في هذا الميدان غير هياب [٧] فاقول

لقد جاء القول الالهي عقب سقطة آدم من الجنة «وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» . وقوله ايضاً بعدها في سورة البقرة

---

(١) جمع كف (٢) جمع ساعد وهو العضد أو الذراع

(٣) جمع شرفة (٤) ما يحويه من الامتعة والاثاث (٥) يضمرون الخوف (٦) يخفون في بواطنهم (٧) خائف

عينها « واوفوا بعهدي اوف بعهدكم » . فماذا كان موضوع كلمات التوبة وماذا كان موضوع عهد الرحمن من بني الانسان وما العلاقة بين هذين القولين وما سبقهما من ازلال الشيطان آدم وما هو ذلك العهد الذي ان هم اوفوه وفى الله لهم بان يدخلهم الجنة كما شرحه الجلالان

ان قلنا ان العهد هو الايمان بمحمد صلعم كما قاله الجلالان او قلنا ان الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي اعتراف آدم بما صار قائلاً (ربنا ظلمنا انفسنا) كما رواه مفسرونا فهذه اقوال لا تقنع ولا تشبع لانه لم يتلق الله كلمات من آدم بل العكس انما يلوح لي ان الاقرب الى الموضوع ان تلك الكلمات وذلك العهد كانا ولا شك في ما يختص بموضوع الشفاعة الذي نحن في صدده

فليس لآدم وذريته النائب عنهم الا أحد الأمرين إما ان يقبلوا الشفيع الذي اذن له الله فيخلصوا [1] او يرفضوه فيهلكوا

ثم انه قد تحقق ان آدم كنائب ذريته خالف الرحمن باقترابه من الشجرة وفي شخص نيابته حسب هذا الخلاف على كل نسله بما فيهم من انبياء وصالحين كالخليل ابرهيم وموسى وسيدنا محمد

[1] من اشراك الشيطان والخطية

عليهم السلام اجمعين. وهذه الحقيقة أثبتها القرآن وبها اثبت مذنوبية كل ابن لآدم . فالنتيجة اذاً انه لا شفيع يمكن ان يقوم من نسل آدم. اذ لا يمكن ان يكون المذنب شفيعاً لنفسه ولغيره بل والحق أولى ان يقال ان المذنب محتاج لشفيع يشفع فيه عند الله . (فصاح احد الحاضرين قائلاً الله أكبر وعندها اندفع الشيخ قائلاً نعم والف نعم الله اكبر واعظم من ان نحمل اقواله على غير محمل الحقيقة فان آدم وابرهيم واسحق ويقعوب وموسى ومحمداً والحواريين [1] صلاة الله على جميعهم لقد حسبوا خطاة بخطية آدم وزالّين بزلّته وهم والحال هذه وجب عليهم ان يلتمسوا شفيعاً لهم عند الله «من اذن له في ذلك»

ما لنا نستعظم ذلك وقد نطق القرآن موضحاً نقائص اولئك الانبياء المقربين بما يظهر ان العصمة ليست الا لله وحده فهذا سيدنا آدم قد صرح القرآن بان الشيطان ازله عن الجنة ونحاه . وقال عنه «وعصى آدم ربه» وهذا سيدنا محمد وهو خير من ولد آدم يقول القرآن في حقه في سورة الضحى «ألم يجدك يتيماً [2] فآوى [3]

---

[1] تلامذة السيد المسيح ودعوا حواريين أي أنصاراً ورسلاً داعين الى تطهير القلوب [2] من الاب والام [3] ضمك الى بيت عمك أبي طالب

ووجدك ضالا [١] فهدى ووجدك عائلاً [٢] فاغنى [٣] » (سورة الضحى) قالوا كان صلعم قبل نزول الشريعة عليه مثله مثل قومه قريش حنيفاً يعبد اساف ونائلة صنمي قريش والاحباش

وقوله ايضاً في سورة ألم نشرح « الم نشرح [٤] لك صدرك ووضعنا [٥] عنك وزرك [٦] الذي انقض [٧] ظهرك »

كذا يلزم ان يكون الشفيع من غير طبيعة البشر بالكلية لتكون له حق الوجاهة [٨] والشفاعة وقد صرح القرآن لسيدنا عيسى عليه السلام بالوجاهة في الدنيا والآخرة . وقد فسر ذلك العلامة البيضاوي بقوله «ان الوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة» وشهد القرآن الكريم بان عيسى لم يكن من زرع بشري كمحمد وداود وموسى عليهم السلام بل قال عنه «ونفخنا فيه من روحنا» وانه «رسول الله وكلمته [٩] القاها الى مريم وروح منه» «يا مريم ان

---

[١] من الضلال ضد الهدى وكل التآويل البعيدة التي ذكرها المفسرون لهذه الآية لاجل عصمة الانبياء هي سفسطة محضة لا لزوم لها [٢] فقيرا

[٣] فارضاك بما اعطاك واغناك به عمن سواه [٤] نفسح ونوسع [٥] حططنا

[٦] حمل ذنوبك الثقيل [٧] اثقل [٨] الوجيه الشريف المسموع الكلمة

[٩] أي كلمة الله الازلية الإلهية التي لا تنفك عنه تعالى

الله يبشرك بكلمة منه اسمه [١] المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ... قالت رب انى [٢] يكون لي ولد ولم يمسسني بشر [٣] قال كذلك الله يخلق ما يشاء » الخ وخلاصة هذا القول الوارد بسورة آل عمران ان عيسى عليه السلام جاء من غير ان يمسس مريم امه بشر فهو بهذه الشهادة الواردة عنه ليس من البشر الذين ناب آدم عنهم فحسبت عليهم خطية بل جاء من مصدر آخر بجمل ما يقال عنه انه « اتى من الله » والعلم لله في كيفية اتيانه . لقد ارسل الله لمريم من روحه او نفخ فيها من روحه وغير ذلك من التعبيرات التي خلاصتها جميعها ان عيسى عليه السلام انما جاء بطريقة

---

[١] هذه الآية تفيد افادة تامة ان الكلمة هي ذات جوهر المسيح أي هي هو ولان الضمير في (اسمه) مذكر يعود على (بكلمة) التي هي مؤنثة ولا فرق بينهما هنا فتأمل ولا تلتفت الى ما قاله المفسرون من ان الكلمة هنا بمعنى الايجادي المعبر عنه بلفظة كن لان المسيح لا يصح حينئذ ان يسمى كلمة لانه لا يكون هو نفس الكلمة بل مفعولها وايضاً لا يبقى له امتياز على غيره بهذه التسمية لان كل شيء من جماد ونبات وحيوان اوجده الله بكلمة كن وايضاً لا يجوز ان تقول آدم أو الشجرة أو الحجارة كلمة الله لانها مختصة بالمسيح الممجد الذي هو كلمة ذاتية لا لفظية . وقوله (القاها) يفيد ان الكلمة شيء موجود عند الله أو بالله من الازل ثم ألقاه الى مريم فتأمل

[٢] استفهامية انكارية تعجبية بمعنى كيف [٣] يقرب مني رجل

الهية غير طبيعية . زد على ذلك التصريح بالامتياز [١] الوحيد الذي لم يورده القرآن في جانب سواه من الوجاهة في الدنيا والآخرة

فاذا اذاً ان كان قرآننا الكريم ونبينا العظيم يثبتان لعيسى صلعم هذا الحق فلماذا نخشى الاعتراف به. ترى ان نحن انكرنا على عيسى صلعم حقاً اثبته لنا كتابنا العزيز افنكون من الصادقين

هذا مقام الشفاعة الذي ليس على حائطه غبار ولا مساس [٢] ولا شرك بالله ما دام ان الشفيع هو بحكم كتابنا كلمة الله او روح الله. وكيف ما كان تأويل هذه الكلمات فهو من الله وليس من البشر ولا من المخلوقات الاخر

جلس الامام زين الدين فقام الشيخ بدر وقال : واذا تأملنا في ما فصله القرآن العزيز عن عيسى عليه السلام وجدناه قد فضله على جميع بني الانسان (وهنا صاح احد الحاضرين قائلاً «الله اكبر») فاجاب الخطيب قائلاً قسماً بالله العظيم رب موسى وابرهيم اني لا ابخس القرآن حقه ولا اخضع الا لقوله فلقد جاء قوله عن عيسى عليه السلام ما اثبت طهارته القلبية ودرجته النبوية وهو في

[١] بالتفضيل يفضله عن غيره [٢] مصاب

مهده [١] طفلاً غضاً [٢] وما اثبت له دوام صلاحيته في بقية عمره دون ان يذكر له ما ذكر لغيره من ضلال ووزر وضيق الصدر وانقاض الظهر. من ذلك ما ورد في آل عمران «ويكلم الناس في المهد وكهلاً [٣] ومن الصالحين» عدا ما فضله به من ايتاء المعجزات الى حد فيه يخلق ويسوي الامر الذي لم يسمع الا عن الله فهو الخالق وحده ولا خالق غيره فمن ذلك قوله «واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ [٤] الاكمه [٥] والابرص [٦] باذني واذ تخرج الموتى باذني» الخ (سورة المائدة)

فالله اكبر والله اكبر اذا لم نخضع لقول كتابنا الصادق ونعترف لعيسى بمقام فوق كل المقامات. الا ترى ان القرآن شهد لبعض النبيين بايتاء [٧] المعجزات ولكن لم يشهد بالاقتدار الخلقي [٨] الا لعيسى. فكيف مع كل هذا التصريح بامتيازاته عن كل من سواه مولداً وطبيعة وصلاحاً واقتداراً خلقياً ووجاهة في الحاضرة [٩]

---

[١] موضع فرش منامه وهو في حال الطفولة [٢] طرياً نضيراً
[٣] من وخطه الشيب أو زاد على ثلاثين سنة [٤] وتشفي [٥] الذي ولد أعمى أو مطلق العمى [٦] البرص داء خبيث معدٍ معروف وكان شائعاً وكثيراً في الزمان القديم (لاويين ١٣ و١٤) [٧] باعطاء [٨] بالقدرة على الخلق أي الابداع بشيء تعجز الخلق عن الاتيان بمثله [٩] اي الدنيا

والآتية[١] لا نعترف له بمقام الشفاعة ونلوذ[٢] ببابه ونلتجئ[٣] بجنابه . وهذا لا يضر مقام رسولنا عليه السلام فاننا قبلناه رسولاً من الله وامينا تلقينا[٤] عنه كلام رب العالمين وهو صلعم الذي نطق بما جاء في حق عيسى فلو انه رأى فيها ما يحط بمقامه لضرب عليها وانساها[٥] واستلفت الافكار الى سواها ولكنها مشيئة الرحمن الرحيم وتعاليم القرآن الحكيم ان محمداً رسول الله ونذير امته وعيسى هو شفيع البشرية عليهما ازكي السلام ومن شاء قبل ومن شاء رفض والسلام على من اتبع الهدى

عند ذلك حصلت غوغاء[٦] شديدة ممن لم يسبق لهم الحضور في غير هذه الجلسة فاضطر الرئيس ان يصرف الجلسة قائلاً فلنكتف بما سمعنا ولنؤجل سماع البقية لفرصة اخرى مراعاة للظروف

فانصرف الحاضرون واخذ الفتيان في اخذ ورد وتنديد شديد وتقبيح صريح لما سمعوا وقال قائل كيف يسكت علماؤنا وولاة امورنا عن ايقاف تيار[٧] هذه الجماعة التي لا غرض لها الا العبث[٨] بالقرآن والحط من قدر ولد عدنان عليه افضل صلوات الرحمن .

---

(١) اي الآخرة (٢) نحتمي (٣) نتعوذ (٤) تبلغنا وتعلمنا (٥) لتركها

(٦) اختلاط اصوات (٧) جريانهم بسرعة (٨) اللعب واللهو

اما الراسخون في العلم فلم تذق اجفانهم طعم الكرى [١] وباتوا يتقلبون على احر من جمر الغضا [٢] يحاولون التخلص من حجج الشيخ بدر وزين الدين ودفع برهانهما بما هو اقوى ولكنهم ينقلبون حيارى يتأملون في الاقوال القرآنية التي استشهد بها فيجدونها صادقة المعنى وظلوا كذلك حتى انبثقت [٣] الشمس من رحم [٤] الفجر فيمموا [٥] المسجد لاداء الفرض فتقابلوا ببعض عن غير قصد وكان المجتمعون الشيخ المنفلوطي والهريدي والشيخ ناجي المغربي

فقال الهريدي كيف كانت ليلتكم البارحة ؟ قال احدهم لا اعادها الله على احد فانها كانت ليلة التفكير والهم الكبير . قال المنفلوطي اما انا فلا أأتمن مغبة [٦] اجتماع الاحداث خيفة وقوع ما نعوذ بالله منه . قالوا نعم فلا يكون الا كما قلت . قال وهل رأيتم مثلما رأيت ان الحق كان في جانب الشيخين بدر السنوسي وزين الدين؟ واعترف لحضراتكم ان هذه الحقيقة لم تظهر لعين تأملي بأجلى مما ظهرت به ساعة المطارحة . قال الشيخ الهريدي لم يكن عذابي الا تخوفاً من

---

(١) النوم (٢) شجر عظيم من الاثل خشبه صلب جداً وجمر فحمه يبقى زمناً طويلاً لا ينطفىء ولذا يضرب المثل بشدة الحر فيقال أحر من جمر الغضا (٣) صدرت وانفجرت (٤) بيت الولد مستعار للفجر (٥) فقصدوا (٦) عاقبة ونهاية

ان الاقرار بالشفاعة العامة لعيسى ينقص من كرامة محمد عليهما السلام . قال المغربي انه لوهم وجبن ان نخشى المجاهرة بامر تعززه آيات العزيز وتؤيده صريحاً لا تلميحاً

قال الشيخ ناجي اذاً كلكم مصادقون على ان القرآن يعترف بالشفاعة العامة لعيسى المسيح عليه السلام قالوا نعم . قال ومتى تجتمعون للاستمرار على ما نحن عليه . قال المنفلوطي لقد كان بيننا من خيرة الادباء وصفوة[1] العلماء من لا يستخف بامرهم فان رأيتم وجوب الاجتماع بهم والوقوف على ما قرروه في هذه الحقيقة والا فلكم الخيار

فاجمعوا على الاجتماع بمنزل الشيخ بدر السنوسي بعد ان يقفوا على نتيجة بحث اولئك الاقطاب وانصرفوا وانا وراءهم اكثر منهم شوقاً للاطلاع على ما يرغبون

---

(1) خلاصة

المطارحة الثالثة

استئناف الكلام

في

النيابة والشفيع العام

كان بين الحاضرين في الجلسة الماضية خمسة من فطاحل العلماء وهم حضرات الشيوخ عمار البرديسي ومصطفى الدمنهوري وابرهيم الاسناوي ومخلوف الاصواني وابو قرّاعه الاسيوطي وجميعهم خرجوا من ميدان المطارحة حيارى كأنهم سكارى وقد زاد شوقهم الى الوقوف على ما جريات[1] المطارحة الاولى فوعدهم الدمنهوري باحضار (سجلّ) محضر جلستها فقرروا الاجتماع عند الشيخ ابرهيم الاسناوي وهناك تليت عليهم صورة المناقشات والنتيجة التي كانت باجماع اولئك العلماء باعتبار آدم نائباً في زلته عن كل الجنس البشري

جلس الدمنهوري وقام البرديسي يقول انا لا أرى بين آدم وذريته نسبة طبيعية ولا جسدية ولاشرعية تسبب فيهم الخطية او توصلها اليهم عنه اوتجعلهم تحت العقاب الذي هدد به آدم. وما كانت

---

[1] الحوادث

الاوجاع والمصائب التي نتكبدها نحن اليوم الا نتيجة اعمالنا الاثيمة وافكارنا الرديئة التي تقودنا الى اغفال [١] واجبنا نحو المولى ونحو بني جنسنا

فقال الشيخ فاضل ابو قراعه لا يا عمار لا. فان الاطفال والرضع وهم لا يقوون على عمل ولا على فكر ومع ذلك تراهم تحت هذا القصاص عينه مرض ووجع ثم موت . . . وكيف تقول بعدم النسبة الطبيعية وآدم بالطبيعة هو ابو البشرية فكيف لا يرث ابناؤه عن والديهم خصائص [٢] الطباع وغرائز [٣] النفس عدا عن ملامح [٤] الجسد أفاتك ان العرق [٥] دساس من الطرفين [٦] ؟

قال الاسناوي وما ضرنا لو قلنا باسبقية وجود الارواح في غير هذا العالم وانها عصت قديماً وتابت فاوجدها الله في ذرية آدم تحت الامتحان فهي وان كانت الآن تحت قصاص فهو قصاص خطاياها الشخصية لا خطية آدم

فاجابه ابو قراعه ان هذه لأصدق فتوى لو صدقت ولكن

---

[١] اهمال [٢] خلال وخصال [٣] جمع غريزة وهي الاخلاق الموروثة [٤] مشابهات [٥] الاصل وهو مثل يراد به ان الاخلاق موروثة عن اصلي الانسان [٦] الاب والام

الآية القرآنية صرحت بايقاع القصاص على الذرية « عداء وموتاً » كنتيجة لخطية آدم ليس الا . وبذلك انتفى الحكم بجعل سبب هـذا العداء وهذا الموت غير مخالفة آدم عليه السلام

قال الشيخ عمار وماذا تقولون اذا كان القصاص الواقع على الذرية ليس لنيابة آدم عنهـا بل لان مخالفة آدم هي مخالفة حقيقية منهم لا نيابية ذلك لان ناسوت [١] آدم هو ناسوت ذريته او هو جوهر [٢] واحد عام فالخطية التي ارتكبها الجوهر الذي في آدم ارتكبها نفس هذا الجوهر العام في الطبيعة البشرية فلا يعفى عن تحمل قصاصها طفل ولا بالغ أشدّه ولا هَرِم

فاجاب ابو قراعه ولا هذه تبطل حجة الشيخ بدر فان القول بالجوهر العام ظن وتخمين لم يثبته العلم . ونحن لسنا ممن يأخذون بظواهر الامور بما لم يقم عليه دليـل . عدا انه قول ينافي حقيقة الوجدان فاني لا اشعر باني اخطأت مع آدم حتى اقبل القصاص المتعين لخطيته . وهب اني كالابله [٣] والمعتوه المجنون الذي يرتكب في جنونه ما لا يشعر به فما كان الشرع ليجيز عليّ تبعة ما عملته. فان

---

[١] الناسوت طبيعة الانسان أي جسده وهي كلمة سريانية الأصل

[٢] الموجود القائم بنفسه ويقابله العرض [٣] الكثير السذاجة

كنا عملنا في جوهرنا مع آدم ما لا علم لنا به فلسنا بمسئولين عنه . زد على ذلك انه لو صح القول بذلك الجوهر لنتج اشتراك الذرية مع ابيها في فضائله كما في مساوئه[1] وان كان ذلك صحيحاً فما معنى وجود الكافرين والمشركين والوثنيين[2] من ذريته وقد اشتركوا بالجوهر في نبوته . فيظهر مما ذكر مع مراجعة ابحاث اخوتنا العلماء ان امر نيابة آدم عن ذريته ثابتة لا جدال فيها ولا غبار عليها

قال الشيخ مصطفى انني مسلم بصدق البراهين عن هذه النيابه الا اني أرى انه يلزمنا البحث فيما اذا كان آدم وزوجه نائبين عن الذرية او آدم وحده فقد فهمت من المطارحة الاولى ان رصفاءنا اعتبروا النيابة فيهما كليها واني منكر ذلك قطعياً فقد كان القول الالهي « وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة » فان المخاطب هو آدم وحده . فناداه ابو قراعه قائلا كمل الآية يا مصطفي كمل الآية. « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » فمن قوله « تقربا » بدل « تقرب » . « وتكونا » بدل « تكون » دليل على ان حواء معه في تلك النيابة

فترك الشيخ مصطفى مسألة النيابة وتكلم عن مسألة الشفيع

---

[1] عيوبه ونقائصه [2] عبدة الاصنام

العام وأخذ يقول ان الشفاعة المقصودة ليست واقعة في جانب المؤمنين فانه لا حاجة للذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي بين يديه ثم ماتوا مسلمين مؤمنين . لا حاجة عند هؤلاء الى شفيع فقد وعد القرآن الصادق ان «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (سورة البقرة) وجاء في سورة القمر «ان المتقين في جنات ونهر [1] في مقعد صدق عند مليك مقتدر» فما حاجتهم الى شفيع وقد قيل ايضاً في سورة الحديد «يضاعف لهم ولهم اجر كريم ... والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم» فالشفاعة هي المرجوة لجانب اثيم محكوم عليه بالشقاء في سقر [2] حيث اللهيب المستعر فيمسي فيها كهشيم المحتظر [3] هؤلاء هم المحتاجون الى شفيع يأخذ على نفسه ما عليهم ويستلفت مراحم المولى اليهم

ومثل هذا الشفيع ليس من الملائكة بدليل قوله في سورة

---

(١) اي انهار وقد يعبر بالواحد عن الجمع (٢) اسم علم على جهنم من سقرته النار بمعنى لوحته اي سودته او اعطشته (٣) بكسر الظاء هو باني الحظائر من يابس اغصان الاشجار وبفتحها ذات الحظيرة المقامة من هشيم الاشجار اليابسة التي اشبهت طبيعة الانسان الفاسدة باستعدادها للاحتراق باصغر الشرر

النجم «وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى» نعم ولا يوجد بين الخلائق الارضية ايضاً فهذا نوح يشتكي من قومه ويطلب من الله الانتصار عليهم كما قيل في سورة القمر «فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر [١] فدعا ربه اني مغلوب فانتصر ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر [٢]» بل وجاء عن نبينا عليه السلام في سورة عبس ما يفيد انه عبس في وجه الرجل الاعمى الذي جاء يقول علمني مما علمك الله

ولما كان النبي وقتذاك مشغولاً مع اشراف قريش عن عبد الله ابن ام مكتوم الاعمى يرجو اسلامهم فعاتبه الرحمن قائلاً عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى (يتزكى بمعنى يتطهر بما يسمعه منك) او يذكر فتنفعه الذكرى . اما من استغنى فانت له تصدى [٣] اي تقبل على الاغنياء

فلا موسى ولا نوح ولا محمد عليهم السلام قاموا بواجب هذه وما كانوا الا هداة [٤] ونذراً [٥] ورسلاً ومرشدين كل منهم الى امته

---

[١] اي ازدجرته الجن وذهبت بلبه أو انتهر بالسب وانواع الاذى

[٢] منصب بابلغ ما يكون من السيلان [٣] تتعرض له بالاقبال عليه

[٤] جمع هادي اي دليل [٥] جمع نذير محذر عن العواقب ومعلم

واما عن عيسى المسيح فاني لكراهتي النصرانية ابتعدت عن قراءة كتبها ولذلك امسيت غير قادر ان احكم بشيء ما عن عيسي عليه السلام . وياليتني لم اشبّ كغيري من بني المسلمين على كراهة الانجيل دون تصفحه[1] فما كنت لاعتذر الآن وفي مثل هذا المقام

دارت كل المناقشات بينما كان الشيخ مخلوف الاصوانلي جالساً صامتاً فكبر على العلماء ذلك فسأله الشيخ ابرهيم الاسناوي والشيخ مصطفى ابداء رأيه في الموضوع فاندفع الاصوانلي اندفاع سَيْلِ العَرِم[2] وجعل يقول

انني اعجب كيف صرفنا هاتيك الايام الطويلة دون بحث ولو قليل في جوهر ما بين ايدينا لم نشتغل الا بقشوره المزركشة فلهونا[3] بلآلىء[4] نحوه وجواهر[5] بديعه وأغفلنا امر حقيقته فوقعنا الآن حيارى في معانيه تتضارب عقولنا في تأويلها كما وقع لنا في مسألة نيابة آدم وزوجه عن الجنس كله بدليل صيغة الجمع في الآية الا اني سمعت لاحدهم تأويلاً وهو ان قوله تعالى اهبطوا كان موجهاً لآدم وزوجه والشيطان والحية وجميعهم هبطوا وبين جميعهم

---

(١) تأمله والنظر في صفحاته (٢) السيل الشديد كناية عن قوة آلامه وشدته وهو مثل (٣) سلونا وتركنا (٤) جمع لؤلؤة (٥) جمع جوهرة

العداء ولجميعهم المقر الى حين (وهنا صفق الحاضرون شديداً) فاستطرد الاصوانلي قائلاً واني لم اكن اقل منكم اعجاباً بهذه الفتوى لو لم يفندها احد ابناء المسيحية. قالوا وكيف ذلك. قال قد ورد بعد قوله اهبطوا قوله «حتى يأتينكم مني هدى» ويراد بالهدى القرآن الكريم ورسوله العظيم كما افاده الجلالان [1] قال النصراني فهل ينتظر المسلمون ان الشيطان ينتفع بذلك الهدى او ان للحيات والعقارب والخنافس والضفادع حظاً في القرآن والهداية به. سمعت هذا القول فضربت عن هذه الفتوى وصادقت على نيابة آدم عن ذريته التي خوطبت معه وهي في صلبه ان «اهبطوا. بعضكم. ولكم. الخ» ولم تكن صيغة هذا الجمع الا لهم فقط

واما في ما يختص بالشفيع العام فاني مضطرب الفكر من جهته ويلوح لي صدق الذي قاله الشيخ بدر من ان عيسى هو صاحب القدح [1] الاعلى بين كل من شب ودب بل بين الخلائق السماوية والارضية ولعل اضطرابي الحاصل عندي الآن هو لعدم سبق البحث ومشاهدة الحقائق رائعة [2] في ثوب البرهان القشيب [3]

---

[1] جلال الدين الاسيوطي وجلال الدين المحلي في التفسير المختصر للقرآن

[2] النصيب الاوفر [3] ظاهرة واضحة الحسن [4] الجديد

وان انصفتم فلننضم الى جانب اخوتنا ونستمر معهم ونرى ماذا يكون رأيهم . فقاموا جميعاً ودخلوا بيت الشيخ بدر واذا به وبكل اصحابه جلوس معه وكان الشيخ بدر يتكلم فلما دخل العلماء كفّ عن الحديث فقال له الشيخ الاسناوي عد الى ما كنت فيه قال نعم

ان الشفيع المبتغى والمطلوب للعالم شيء. والهادي المرشد للعالم شيء آخر. وان عمل الشفيع انه يتوسط لاجل غفران آثام الاثيم واصلاح ما افسد الدهر وهذا لا يكون الا عن فيض صلاح غير محدود من نفس الشفيع يسد مسد النقص الحاصل من الاثيم ولقد حاول نبينا عليه السلام ان يعمل عمل الشفيع مرة فزجره الرحمن كما جاء القول صراحاً في سورة براءة (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما يتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) ومعلوم ان هذه الآية نزلت اليه صلعم يوم بكى على قبر ابيه وطلب من الله ان يقيم ابويه حتى يؤمنا به ثم يميتهما مؤمنين فلم تقبل شفاعته

قال المنفلوطي ألم يأتكم من احد علماء الازهر نبأ بما كنا فيه

قال الهريدي نعم ان امرنا بلغ العامل العالم الشيخ مصطفى

عبد الله احد علماء الازهر الشريف واطلع تماماً على كل ما دار بيننا وقد بعث بهذه الرسالة اليكم

من مصطفى عبد الله الى الحبيب النسيب الشيخ طاهر الهريدي واخوته العلماء الادباء

سلام الله عليكم ورضوانه. اما بعد فلقد وشى [١] بكم الواشون ولكنا وقفنا على صدق مبدإكم وانه لمركب خشن ومسلك وعر انتم فيه سالكون. فوان قلنا بحرية الفكر ومتانة الذكر (القرآن) لكننا لم نقل باستعداد العالم لما تقولون وتكتبون هكذا سلك النصارى قبلكم فامسوا في شعاب [٢] اختلافاتهم يتشيعون ويتشعبون [٣] فان لم تعدلوا [٤] عن رأيكم فتكتموه عمن يجهلون. تأملت المسألتين النيابة والشفاعة واذا بهما قول الحق يعتقده المؤمنون. نطق به القرآن الحكيم لمن يعقلون. وازيدك نصحاً بان ترجع الى سورة الاسرى واقرأ قليلاً من البقرة تجد القول الفصل الذي اليه يرجع الباحثون ففي الاولى قيل «وفضلنا بعض النبيين على بعض» والقول بتفضيل البعض على البعض لا كفر فيه ولا له دحض [٥]

---

(١) نم وسعى (٢) افتراق وتباعد (٣) يتفرقون ويستهلكون متباعدين (٤) ترجعوا وتميلوا (٥) دفع وابطال

وقيل في الثانية «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس» فلا وهم ولا حدس[1] فان اختصاص عيسى عليه السلام بهذا الامتياز والاكرام عمن سواه من اي رتبة ومقام. والموضوع بذلك من كتاب الله الحكيم. تصريحاً تتداوله الاجيال فيلقنه الكبير للفطيم. بهذا كانت المشيئة الصمدانية والحكم القرآنية يتمسك به المجتهدون. فما كان عيسى كنوح الذي شكى قومه ولا كايليا الذي طلب الجدب فاكلت الحنائن[2] اولادهن ولا كمحمد الذي عبس[3] في وجه الضرير بل هو الذي فتح عيني الاكمه وابرأ الابرص واحيا الموتى بل وهو الذي خلق من الطين طيراً ولا يروعنك[4] ذلك فالله حر مطلق التصرف في خلقه لا يسأل عما يفعل يكرم من شاء بما شاء تبارك الله ربي ذو الفضل العجيب

(امضاء)

جلس الهريدي وما كنت ترى الا هذا يمسح جفنه وذاك

---

(١) ظن (٢) الامهات التي تحن لاولادهن (٣) كلح وقطب وجهه
(٤) يفزعنك

يفرك عينه بشدة . هذا يسرح اصابعه في لحيته وذاك يرفع العمامة الى خلف وذلك يدفعها الى قدام

رأيت ذلك فقلت عبثاً تحاولون الكتمان الا الى امد قصير . واخيراً وقف الشيخ عمار البرديسي وقال ولكن كيف تنطبق هذه الكرامات لمن قال عنه اهله ان قومه صلبوه وعلقوه على خشبة وبذلك وقعت اللعنة عليه . قال الشيخ طاهر وماذا يمنع ان تكون هذه القضية موضوع مطارحتنا التالية . قالوا نعم . قال ويكون افتتاح الحفلة لجناب الاديب الكامل والعالم العامل الشيخ ابرهيم الاسناوي والاجتماع بمنزل الشيخ بدر بعد اسبوع . ثم انصرفوا وانا اكثرهم شوقاً الى حضور تلك المطارحة وسماع مايدور بين فطاحل المسلمين عن قضية صلب المسيح وموته

المطارحة الرابعة

شوق الطروب

في

معرفة المصلوب

تأخرت لسبب من الاسباب القاهرة عن الحضور مع القوم في الاجل المضروب فجئت متأخراً بضع دقائق لم اتمكن فيها من سماع مقدمة الخطيب بل سمعته عند دخولي يقول : والخلاصة ان قضية [١] الصلب من اصعب القضايا بحثاً واستقصاء [٢] واعقدها معنى واستقراءً [٣] تضاربت فيها الافكار واطاشت [٤] احلام الكبار وحصل فيها الاختلاف فوق ما كان في الحسبان [٥] ولا سيما بين الانجيل والقرآن . فمع اثبات الانجيل لحادثة الصلب فقد قال القرآن «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه [٦] لهم» وهذه هي آية المطارحة

---

(١) اصلها المسئلة المتعلقة بمحكمة القضاء ثم استعملت بكل مسئلة

(٢) بلوغ الغاية في البحث (٣) تتبع اقرائها اي انحائها ومقاصدها

(٤) وازاغت العقول (٥) بحساب مقدر

(٦) قيل ان حوارياً قبل الموت نيابة عن المسيح طمعاً في الجنة فشبه به

قرأت هذه الآية مرات عديدة ووقفت حائراً جداً . وددت لو انكر القرآن القضية بتاتاً لكان ذلك من اسهل الامور. ولكن القرآن شهد بوجود صليب وبوجود مصلوب وفي هذا هو متفق مع الانجيل اما الاختلاف ففي شخصية المصلوب . ومع ميلي لتصديق حكاية الانجيل لانه الاسبق الا انني تقف امامي صعوبة كون المصلوب هو عيسى المسيح للاسباب الآتية

(١) لانه من روح الله وكلمته فليس هو بشرياً محضاً أفلا يكون اذاً احرى بالكرامة من ادريس وايلياس اللذين رفعا الى السماء بدون ان يذوقا الموت . لقد كان في مكنته [٢] وهو رب [٣]

لهم فأماتوه صلباً. وقيل أن حوارياً خان المسيح طمعاً في رشوة اليهود فعوقب بالقاء الشبه عليه وبموته ، وقيل ان الله رفع المسيح والقى شبهه على سجانه فأماتوه صلباً (الخطيب ج ١ وجه ٢٨٢) والصواب ان حكم الرومان على المسيح بالموت صلباً وتنفيذ الحكم عليه برهنا لليهود أن السلطة الكاملة تحوّلت الى ايدي الرومان فتمشدقوا ببقاء السلطة لهم بعد ضياعها فشبه لهم انهم هم الذين قتلوا المسيح وهماً منهم مع ان شريعة اليهود تقتل رجماً لا صلباً وشريعة الرومان تقتل عبيدهم صلباً لا رجماً . فتأمل

[٢] مقدرته [٣] صاحب ومالك وسيد

المعجزات ان يختفي من بين ايديهم كما اختفى يوم هموا بتتويجه ملكاً عليهم كما ذكره انجيلهم في (يوحنا ٦:١٥)

(٢) ان القول بقتل عيسى ناقض للقول بلاهوته اذ كيف يعقل ان الروح الالهية التي هي من الله تموت. قالوا عنه انه اقنوم[١] من اقانيم الثالوث الاقدس فكيف يحيا بعض الثالوث وكيف يموت بعضه. ان في ذلك لعجباً. واني ارى ان القرآن بنفيه الموت عن عيسى لقد خدم الانجيل اعظم خدمة بل وخدم عيسى نفسه باقصى ما يمكن

(٣) ان قتل عيسى عليه السلام لم ينتج ادنى خير لامته فلا هو حررهم من عبودية ولا اوصلهم لمجد بل ربما يقال انه جاءهم ضغثاً[٢] على ابالة[٣] بما جعلهم قتلة لذاك البريء ودمه على رؤوسهم ورؤوس اولادهم من بعدهم. فموت عيسى ان لم يكن للاضرار ولو بسمعتهم الادبية فانه لم ينفعهم قط

---

[١] الاقنوم لفظ يوناني الاصل ومعناه «الكائن» (يو ٨:٥٨) وهو من يعبر عن نفسه بانا ويخاطب بانت ويقال عنه هو ومع هذا فالثلاثة الأقانيم قائمة بجوهر واحد بغير انفصال ولا تجزوء مما لا تصل العقول الى معرفة كنهه وادراكه جل وعلا [٢] حشيشاً مختلطاً بيابس واخضر
[٣] الحزمة الكبيرة من الحطب والمعنى بلية على بلية

(٤) ان القرآن بقوله ولكن شبه لهم حل المسألة حلاً عجيباً بما يضمن كرامة عيسى عليه السلام من وجه وبما يحفظ قصد الرواية من الاضطراب من وجه آخر. لقد اتهموه بانه كان مجدفاً [١] على ناموسهم [٢] وانه كان ثورياً يثير الناس الى فتنة عظيمة ويعمل على نقض هيكلهم [٣] قامت قيامة الامة كلها لهذا الامر وقعدت واجتمعت العشائر والعائلات يوم صلبه ليروا الذي طالما احسن اليهم وجال في بلادهم وشفى مرضاهم واشبع جياعهم وليروا ماذا يفعل اخوتهم به

وكيف يكون التأثير عليهم عظيماً لو انهم رأوه مصلوباً وسمعوا كبارهم يقولون لم نصلب الا عدواً للبلاد وعدواً للحكومة وعدواً للهيكل والناموس. الا يكون في انتصارهم عليه اضلال [٤] لهذه الجموع المجتمعة. ولكن الله العليم بذات الصدور لكي لا يضل الناس ولكي يحفظ اتعاب عبده وتعاليمه في قلوب سامعيها التي شبهه على آخر فصلبوه حتى اذا ما تبين لهم فرط جهالتهم ظهر لهم عيسى

---

(١) مضيقاً وكافراً بالنعمة (٢) شريعتهم (٣) موضع عبادتهم الاكبر في اورشليم (٤) بسبب عدم اهتداء

مجتمعاً بالحواريين [١] اربعين يوماً ثم بعث الى السماء جهراً فنظروا وهم بين مندهش وبين آسف يعض البنان [٢] ويصر [٣] بالاسنان

وجلس الاسناوي وقام ابو قراعه وقال ان موقف القرآن حرج [٤] جداً في هذا الموضوع مع التوراة والانجيل . ولا يمكن ان نصل الى الغرض المقصود ما لم يكن بيننا عالم من علماء المسيحية فالمسألة من امهات المسائل . قال الشيخ بدر لي صديق من كبار فحولهم اديب لطيف فان شئتم اتيتكم به الساعة . قالوا لك واليك . فانسل من بينهم فما كان الا لفتة جيدٍ حتى رجع ومعه رجل لابس طربوشاً وبنطلوناً على النمط الغربي الا البرنيطة . فظنه القوم احد الموظفين بالحكومة لانهم كانوا ينتظرون ان يروا القس [٥] بلباس خصوصي كالعمامة السوداء عند قسوس الاقباط الارثوذكسيين [٦] أو القبعة السوداء الطويلة عند الكاثوليك [٧] . فلم يحفلوا بالقادم مبدئياً حتى عرفهم به الشيخ بدر قائلاً اقدم لحضرات اخوتي الادباء اديباً

---

[١] بالناصريين الانصار وهم تلامذة السيد المسيح [٢] اطراف الاصابع

[٣] ويشد على اسنانه حتى يسمع لها صوت [٤] ضيق وخطر

[٥] من كان بين الاسقف والشماس ويجمع على قسس وقسوس وهو لفظ سرياني معناه الراعي [٦] المصريين من النصارى الاورثوذكس [٧] الغربيين

ما له ند [١] وبحراً كثير المد [٢] وعالماً فاضلاً من علماء المسيحيين واسمه الشيخ عبد الله بن امين . فقام العلماء واحتضنوه وقبلوه واجلسوه على الرحب والسعة وبعد ان اطلعوه طلعَ الحال، واعادوا عليه ما قيل من الاقوال ، طلبوا ان يجول [٣] جولة في هذا المجال ، فقال : حتى يبدي كل منكم ما عنده . قالوا نعم . ثم وقف الشيخ مخلوف الاصوانلي وقال ان في القول بصلب عيسى عليه السلام تشهير [٤] كبير فلو انهم قالوا بموته على فراشه لكان ذلك اسهل احتمالاً [٥]

قال الصفدي ولو كان في موت عيسى خلاص امته كما يزعمون لقبلنا الامر ولكن الواقع عكس ذلك فالتاريخ شاهد بعدم ايمانهم به الى هذه الساعة فما فائدة موته اذا كان كل الغرض منه أن يؤمنوا ؟

سكت الصائح وقال قائل ليقم الشيخ عبدالله بن امين فقام وبعد ان بسمل وحمدل قال اما بعد فان قضية صلب المسيح وموته هي الفارق الاعظم بين شعبين عظيمين هما المسلمون والمسيحيون وكل تقي من اتقياء الامتين ينتظر الوقت الذي فيه تسود [٦] المحبة ويتم

---

(١) مماثل (٢) الامتداد والزيادة (٣) يدافع ويطارد
(٤) اظهار المذمة (٥) تكلفاً ومشقة (٦) تتسلط

الاخاء بينهما ويسود الانصاف ويعم الائتلاف ويجمع الطرفان على البحث معاً على الحقيقة بكل تأنٍ وتروّ ولعل الوقت وفى واني احمد الله الذي متع [١] عيني برؤيتكم في هـذا الميدان تبحثون والحرية شعاركم [٢] والحق ضالتكم [٣] واني اجابة لدعوتكم لي اقول

ايها السادة العلماء ان لهذه القضية وجهتين الاولى تاريخية والثانية لاهوتية ففي الوجهة التاريخية امامنا اقوال الغابرين واساطير [٤] الاولين من كفار ومؤمنين واقوالهم هذه مدوّنة [٥] في الموسوعات [٦] المطولة بما يزيل الشك عن ذهن المتأملين وبما يزيح اللبس [٧] عن عقل الباحثين وهذه التآريخ لا تميز [٨] ولا تتعصب لفريق من البشر دون الآخر بل تروي الحوادث على علاتها. افتحوا هذه التآريخ المحررة باقلام اعداء المسيحية والمسيحيين المدونة باقلام اليهود والكفرة الطبيعيين [٩] تجدوا حادثة صلب المسيح باوضح

---

(١) نفع وأبهج (٢) علامتكم التي تتعارفون بها في وقت المجالدة والمجادلة (٣) ضائعتكم التي تفتشون عليها (٤) كتابات واحاديث (٥) مكتوبة في الديوان وهو السجل (٦) ضد الضيقات (٧) الشبهة والخلط (٨) لا تتفرق ولا تتفاضل

(٩) جمع طبيعي وهو الذي ينسب كل شيء الى الطبيعة ولا يعتقد بوجود الاله الحق

بيان مكتوبة مسطورة بما لا تجدون معه لدحضها من سبيل .
اقرأوا بتمعن تجدوا التاريخ يحرص على ذكر تفاصيل تلك الحكاية كما وردت في انجيلنا فيذكر انزاله من فوق الصلب ودفنه في قبر غني وختم القبر بخاتم الحكومة الرومانية ووقوف الحراس حوله لحفارته لئلا يتغير القصد فيه ، والعجب العجاب ان تلك المطالب والمساعي لم تكن مساعي اصحاب المسيح بل مساعي اعدائه فانهم كانوا يخشون ان يسرقه تلاميذه وفي الصباح يدعون انه صعد الى السماء لانه قبل صلبه اخبرهم انه يقوم من القبر ويبعث الى السماء

إنّ قرآنكم يا حضرات الادباء شاهد لصليب المسيح . شهدت آية المطارحة أن الصليب كان موجوداً وأن هذا الصليب كان معدوداً لعيسى . وأن على هذا الصليب قد صلب شخص صورته كصورة عيسى فما تريدون اكثر من ذلك ممن يتكلم عن حادثة بعد وقوعها بستماية سنة ؟

ونحن نذكر للقرآن عبارة تاريخية ايضاً حدثت بعد قيامة عيسى من الموت وهي ان توما الذي هو احد الحواريين كان غائباً عن الحواريين يوم اجتمع بهم عيسى اول اجتماع فلما التقوا بتوما

قالوا له رأينا المسيح يا توما . فقال لهم ان لم اضع اصبعي في اثر [١] المسامير واضع يدي في جنبه (موضع الحربة التي طعن بها على الصليب) فلا أومن فلما كان الاجتماع التالي وتوما كان معهم حضر بينهم المسيح وقال تعال يا توما وضع اصبعك في اثر المسامير ويدك في جنبي فلما آمن توما قال له المسيح هل آمنت يا توما قال ربي والهي قال « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » فهذه الرواية تدفع قول القرآن «ولكن شبه لهم» . فمن البحث في الوجهة التاريخية نجد ان التاريخ تكلمت ستماية سنة عن صلب المسيح وموته باقلام اليهود انفسهم ولم يقم بينهم من يدفع هذه القضية او يكذب هذه الحادثة وقد كانوا احرى الناس بتكذيبها اما وبعد مرور ستماية سنة يأتي صاحب القرآن ويقول . «ولكن شبه لهم» بدون دليل او سند فما ذلك الا تغرير ممن عاصروه من اليهود واضلوه عن الحقيقة

اما الوجهة الثانية اللاهوتية فمن حيث أن المسيح اقنوم في اقانيم الاله الواحد ومن حيث انه روح الله وكلمته فكيف يموت هذا المقام . هذا اكبر اعتراضاتكم . ولكني سأرد على ما سمعته من الكبير والصغير

[١] رسم خروق

قلتم ان القول بصلب المسيح ماس بكرامته وناقض [١] للقول بلاهوته وانه لم ينتج خيراً وان القرآن خدم الانجيل والمسيح بقوله «ولكن شبه لهم» وانهم اهانوا المسيح واحتقروه ولعنوه الخ اما انه ماس بكرامة المسيح وناقض للقول بلاهوته فهو قول من لم يطلع على الانجيل . قال الانجيل ان عيسى [٢] المسيح [٣] من جهة روحانيته هو ابن الله وبلغة القرآن روح الله وكلمة الله . هذا الاقنوم او هذا الكلمة اتخذ جسداً وحل [٤] بيننا في صورة بشرية تأكل وتلبس وتجوع وتتعب وتنام . مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية لانه كما شهدت احاديثكم انه هو المولود الوحيد الذي لم يتمكن الشيطان من الحضور [٥] ساعة ولادته ليمسه فانه ورد حديث رواه البخاري ومسلم ان « كل ابن لآدم قد وخزه الشيطان يوم ولادته سوى

---

[١] مخالف ومبطل [٢] اصله العبراني يهوه يشوع والآرامي يسوع واليوناني ايسوس بمعنى الرب مخلص

[٣] ممسوح من الله لكي يكون ملكاً لبني اسرائيل ولكل الذين يؤمنون به من جميع الناس في المملكة السماوية [٤] تنازل ونزل وسكن [٥] فيه نظر اذا فسرنا الحضور بمعنى ضد الغياب لانه ورد حديث آخر متفق عليه « كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بأصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب » اي المشيمة

مريم وابنها » وهذا الجسد الذي اتخذه صلب وتألم ومات وقام [١] من دون اشتراك لروحه اللاهوتية في هذه العرضيات [٢] ومثله في ذلك مثلنا فاننا نأكل ونشرب ونتعب وننام وارواحنا لا ينالها شيء من ذلك . ألم يحدث قط ان رجلاً قطعت يداه وساقاه ومع ذلك بقي حياً لم يمت ؟ اسألكم يا حضرات النبهاء [٣] هل نقصت روحه مثلما نقص جسده ؟

سقط الاعتراض الذي يزعم انه بمساس موت جسد المسيح يقال بموت اللاهوت أو بموت الاقنوم الالهي الحي الى الابد

واما قولكم ان موته لم ينتج خيراً لامته فاني آسف جداً لان اقول انه قول الغير المختبر الخير الذي نتج من موت المسيح — انتم تعرفون ان الحواريين كانوا من اليهود وقد آمن على ايديهم الالوف والربوات من الامة اليهودية والذين آمنوا منهم بالمسيح المصلوب وجدوا فيه اتمام نبوات انبيائهم عن موته صلباً وعن الفوائد التي تنجم عن موته فقد سبق النبي داود ان تنبأ في زبوره قوله « ثقبوا يديّ ورجليّ . . . يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون »

---

[١] قام من قبره في اليوم الثالث [٢] ما يعرض للانسان من ملائم وغير ملائم من الحوادث [٣] جمع نبيه وهو المتيقظ

وتعرفون ان ذلك هو عين ما فعله الذين صلبوا يسوع المسيح على ما جاء في الانجيل وكذلك تنبأ النبي اشعياء بقوله «وهو مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا . . . انه ضرب من اجل ذنب شعبي» الى آخر ما قال وورد في سفر زكريا النبي قول نبوي عن المسيح «فينظرون اليّ الذي طعنوه» وغير ذلك من النبوات فضلاً عن ان كل الامم الذين قبلوا المسيحية اخذوها اصلاً بواسطة اليهود ولم ينحصر خير موت المسيح للامة اليهودية فقط بل لكل الذين آمنوا ويؤمنون به من جميع الامم الى يوم القيامة. اما الخير الذي نتج لتلك الامة على نوع خاص فهو انه حررهم بموته واعتقهم من العبادة الطقسية الفرضية التي كانوا فيها يعولون على الغسلات والتطهيرات التي اخذتم منها انتم الوضوء وعلى تقديم الذبائح كلما اخطأوا بدون ان يكون التعويل عندهم على التوبة والطهارة القلبية والقداسة[1] العملية ومنهم اخذتم انتم الفرض وغضضتم[2] انظاركم عن ان تكون العبادة عبادة روحيـة[3] لان

---

[1] الطهارة [2] كففتم ومنعتم [3] نسبة الى الروح الذي به حياة الانفس وهو الاقنوم الثالث من أقانيم اللاهوت

الله روح [١] والساجدون لله فبالروح [٢] والحق ينبغي ان يسجدوا الخير خير عظيم تم لهم بتغيير مبدإ عبادتهم. ويوجد الى الآن الوف من اليهود مؤمنون بالمسيح منهم الواعظون والكارزون [٣] والقسوس المنادون باسمه بصلب المسيح وعددهم يزيد سنوياً بما معه لا يمكن لمكابر انكار الخير العميم الذي تم لهم بصلب المسيح

واما قولكم ان صاحب القرآن خدم عيسى والانجيل بقوله « شبه لهم » . فاظنكم لا تصادقون كلكم على ذلك بل واظن ان القائل انما اتاه من قبيل المفاخرة [٤] ليس الا . اما انا فاحب ان اعترف بفضل كل متفضل وباحسان كل محسن فهذا هو الادب والدين . الا اني لا يسعني الا ان ابين لحضراتكم ان القرآن جنى بهذه العبارة جناية [٥] لا تغتفر [٦] . فقد جنى على نفسه اولاً لانه نطق بما لم يشاهده ولم يصله عن مصدر صدق. اوقف نفسه شاهد نفي عن قضية صدر الحكم فيها من ستمائة سنة وهو حكم بيلاطس [٧] واليهود وحكم الرأي العام . ترجمت القضية بعدة لغات وانتشرت

---

[١] اي غير محدود [٢] بالقوة الروحية والعبادة الحقة [٣] الواعظون والداعون الى دين المسيح [٤] التمدح والمباهاة بالخصال والمناقب [٥] ارتكب جرماً وذنباً [٦] لا تغطى [٧] حاكم اورشليم زمن صلب المسيح

في كل صقع [١] وناد [٢] ستمائة سنة . ثم انه يأتي لتكذيبها بغير دليل. فبجنايته على نفسه وقع الريب في قلوب سامعيه

وجنى ثانياً على المسيح . لانه اذا لم يكن المسيح قد مات فلا نفع لنا من حياته

وتبيان ذلك سهل مما اثبتموه في مطارحتكم عن الشفيع العظيم. تعلمون حضراتكم ان المسيح هو شفيع المذنبين بمعنى ان يأخذ عليه [٣] ما عليهم . فاخذ خطيتهم ووقف موقف [٤] الخاطئ وناب عنهم في احتمال قصاص [٥] الخطية. وكما ناب آدم عن الجنس فوضعت عليهم الخطية كذلك لزم ان ينوب المسيح عمن لاذ [٦] بجنابه فيحمل خطيته وقصاصها وينفذ فيه الحكم اللازم انفاذه على الخاطئين . فوجب ايضاً ان يموت المسيح ويعلق على عود الصليب خشبة العار [٧] واللعنة. احتمل كل ما اعد للخاطئ من قصاص وموت. والمعنى من ذلك انه حسب خاطئاً ليس انه صار خاطئاً ونباهتكم ادرى

---

(١) ناحية (٢) النادي مجلس القوم ومتحدثهم اسم فاعل يجمع على اندية (٣) على سبيل البدل والافتداء (٤) اي اقام مقام (٥) الذي هو الموت (٦) احتمى (٧) التعييب والتعيير والمسبة

بالبون[١] الشاسع[٢] بين الحسبان[٣] والصيرورة[٤] فلو لم يمت المسيح لكان عمل الشفاعة ناقصاً . موت المسيح لم يكن كموت كل انسان لأن كل انسان يموت تنفيذاً للحكم الالهي على بني آدم . والمسيح ليس من اولاد[٥] آدم . فالمسيح لا يموت . الخاطئ يموت والمسيح ليس خاطئاً فلا يموت . اما وهو شفيع الخاطئين ونائبهم فقد لزم ان يموت موتاً شفاعياً[٦]

وثالثاً انه ضد عدل الله عز وجل . فاليهود قصدوا ان يصلبوا المسيح واعتبروه مستحقاً للموت وحكمت محكمة البلاد بموته فكيف يجوز للعدالة ان تلقي شبهه على بريء[٧] وتوقعه تحت الموت ؟

ثم ان الشيخ عبد الله استأذن وانصرف فودعوه بكل اكرام وامتنان وعادوا الى حفلتهم فقال الشيخ ابرهيم الإسناوي ما رأي العلماء في ما سمعوا ؟

أجاب ابو قُرّاعة وقال : لقد قام الدليل بما ليس لدينا حجة

---

(١) بالبعد (٢) البعيد (٣) التقدير (٤) وقوع الامر وبلوغ نهايته

(٥) لانه من حيثية الجسد له ام ولا اب له ومن حيثية الروح له اب ولا ام له (٦) اي على طريقة البدل والافتداء (٧) سليم من الذنوب حسب القانون الوضعي

ندفعه او قرينة تفنده [١] ومع اني لا اعترف بان احد اليهود خدع صاحب القرآن بهذا النبإ الكاذب فانخدع به عليه السلام واثبته بل اعتقد انه خوفاً على مساس كرامة المسيح الذي تفنن [٢] في مديحه وتعظيمه كلما ورد اسمه في القرآن رام ان يدفع عنه قضية الموت صلباً ويؤكد له البعث حياً بدون موت . ومن هذه الحكاية تبين لي امران : اولهما ان صاحب القرآن عليه السلام ملتزم دائماً جانب اكرام عيسى عليه السلام وتعظيمه على كل مخلوق فانه قال فيه وعنه ما لم يقله غيره ولم نره الا في الانجيل [٣] وثانيهما ان شهادته بنفي الموت لا تحل محل شهادة التاريخ لا سيما وانها جاءت بعد مرور ٦٠٠ سنة وهذه حجة قاطعة جداً لا ارى لي سبيلاً للهروب من الالتزام بها

قال الشيخ الهريدي لقد تأثرت جداً من قول العالم النصراني الذي شهد امامكم بقصة الصليب وسبب اعداده وتهيئته وصلب شخص عليه وان مشابهته لعيسى لا حقيقة لها لانه هو ذات عيسى

---

(١) تخطئه وتكذبه (٢) نوع الاساليب والطرق (٣) مثل روح الله وكلمته وانه وجيه في الدنيا والآخرة ومن الصالحين وانه سيد ومزكى من الذنوب وليس للشيطان عليه سبيل وانه يخلق من الطين طيراً ويحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويتكلم بالمغيبات وغير ذلك

المصلوب . افيأتي القرآن ويقول فالنتيجة من ذلك انه ليس المسيح «بل شبه لهم» ؟

قال الصفدي حجة المسلمين ضعيفة جداً في هذه القضية لان ليس لهم ما يسندهم لا علمياً ولا تاريخياً ولا دينياً عدا ان شهادة التواتر [١] عند المسيحيين تثبت ذلك وقبور شهدائهم [٢] الذين ضحوا حياتهم في سبيل عدم الرضى بانكارهم موت المسيح لأقوى شهادة. الا ترون حضراتكم ان المسيحيين صار لهم تاريخ سنوي يعتبر من ابتداء قتل شهداء المسيحية؟ فبينما للاسلام تاريخ واحد ١٣١٨ اليوم يوم القاء المطارحة فللنصارى تاريخان احدهما تاريخ المسيح ١٩٠٠ والآخر تاريخ الشهداء ١٦١٦ وكلاهما كانا قبل ان تولد الحضرة المحمدية [٣] في عالم [٤] الوجود فكيف يسوغ لمثلنا ان ننكر حقاً هذا نوره وهذا مقدار ظهوره ؟

قال الشيخ عمار اذاً نكذب رواية القرآن ونعتمد على رواية الانجيل . ما هذا الذي انتم به تصرحون بدون خوف ولا حذر ؟

---

[١] هي الاخبار عن جماعة متتابعين طبقة عن طبقة لا يمكن تواطئهم على الكذب عقلاً [٢] جمع شهيد وهو المقتول لثباته في سبيل الله والحق
[٣] ميلاد محمد [٤] الخلق كله

وان كانت هكذا منزلة القرآن واقواله في حياتكم فلماذا لا تصرحون ان كان ملهماً[١] ام غير ملهم ؟

قال الشيخ احمد المنفلوطي انا اقترح ان يكون موضوع المطارحة الآتية إلهامية القرآن

قال الشيخ عمار وانت يا شيخ احمد تفتتح الحفلة قالوا نعم ثم انفضت الحفلة وانا اكثر الناس عجباً من اصرار[٢] هؤلاء العلماء على موالاة هذه الابحاث ومتابعتها واكثرهم اندهاشاً بما اراه فيهم من الشجاعة التي بها يقررون الحقيقة ناصعة[٣] بالرغم عن ميولهم كأنهم لايرون الا الحقيقة ولا يخشون في سبيل تحصيلها لوماً ولا تثريباً[٤]

---

(١) موحى اليه بالهام (٢) ملازمة وثبات (٣) خالصة واضحة
(٤) تعييراً وتعييباً

المطارحة الخامسة

نظر الزمان
في
الهامية القرآن

انصرف العلماء في الليلة السابقة على وعد الالتئام في هذه الجلسة . وكانت الحفلة حافلة بكبار العلماء الاعلام وعرفت بينهم الشيخ امين الازهري والشيخ رفاعه والشيخ ابا المكارم. فلما استوى بهم المقام وقف الاستاذ المنفلوطي وقال . اني والله ما كنت اجد في نفسي ارتياحاً لموالاة هذه الابحاث بهذه الكيفية ولكني أرى والحق اولى ان يقال اننا في حاجة كبرى لهذا الاحتكاك [١] الفكري حتى يقوى ساعدنا على ردع [٢] المتشدقين [٣] من ذوي الضلالة [٤] والغواية الذين يرون لهم الف مسوغ ومسوغ في ان يسألونا عن متانة [٥] الكتاب الذي بين ايدينا فان نحن قصرنا في

---

(١) المباراة والاصطكاك (٢) كف ورد (٣) البليغين بالكلام وواسعي الاشداق (٤) الذين ضلوا سبيل الحق وتاهوا في بيداء الجهالة والنفاق (٥) قوة

تعزيز جانب كتابنا كنا اولى بِتَبِعَةِ[١] اللوم او احسنا الجواب كان ذلك اكثر صوناً لمقام القرآن ورسوله صلعم . وعليه ان وجوه تفضيل قرآننا الكريم على سواه من الكتب المنزلة هي ما يأتي :—

(١) انه كان قبل نزوله على الرسول صلعم محفوظاً في لوح[٢] قديم . ذلك يعززه ما جاء في سورة البروج «بل هو قرآن مجيد[٣] في لوح محفوظ» فلم يكن من ترهات[٤] المموهين ولا من تلفيقات الملفقين بل هو محض وحي اوحى به الخالق الى سيدنا محمد صلعم في زمن معلوم . يؤيد ذلك قوله في سورة الانعام «قل الله شهيد[٥] بيني وبينكم واوحي اليَّ هذا القرآن لانذركم[٦] به» فيتبين لذي الانصاف انه ليس من مجموعات مؤلفة بايدي البشر بل هو قول الله انزله الى رسوله الامين[٧]

بل ولقد جاء بيان اللغة التي انزل فيها فقيل انه «انزل بلسان

---

(١) بظلامة واتباع الشر (٢) قيل هو نور يلوح للملائكة لوحاً فيظهر لهم ما يؤمرون به وقيل هو ام الكتاب المكتوب فيه ما كان وما يكون الى يوم القيامة (٣) رفيع عال شريف (٤) جمع ترهة فارسي معرب استعير لمعنى الباطل (٥) لا يغيب عن علمه شيء (٦) لاحذركم عاقبته (٧) ما تطمئن به النفوس وهو ضد الخائن

عربي» فلم تبق بعد للنفس حاجة تمنعها عن الوثوق به وقبولها كلامه واعتباره الهياً صادقاً بعيداً عن مختلقات البشر وعادات الامم

ولقد يقال ان عيسى اتى قبل محمد فبشر [١] الناس بوحدانية الاله وباليوم الآخر كما كان موسى قبله فما كان في ما اوحي الى محمد شيء جديد يستحق الاختصاص [٢] به صلعم . قلنا ان عيسى انما هو رسول اليهود جاء الى اليهود لا الى غيرهم وذلك بدليل قوله في الانجيل «ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويعطى للكلاب» وقال ايضاً يوحنا عن عيسى عليه السلام «الى خاصته [٣] جاء وخاصته لم تقبله» فالاختصاص بعيسى جاء صريحاً على ان امة العرب في تلك الايام كانت امة جاهلية [٤] لا تعرف شيئاً عن الله ولا عن مطاليبه المقدسة فجاء محمد صلعم بوحي يناسبها فتكلم في قرآنه المجيد بما ازال خشونتهم وألان قلوبهم واخضع قبائلهم تحت لواء الوحدانية بعيدين عن الاشراك [٥] والوثنية . وكم من تقي مجاهد . ساجد وهاجد [٦] قام [٧] من تلك الامة بفضل آي القرآن فلو لم يكن له

---

(١) بخبر بخبر مسر (٢) الانفراد (٣) اقاربه ومعارفه وابناء امته (٤) في حالة الجهل والوثنية قبل الاسلام (٥) الاعتقاد باكثر من اله (٦) ساهر متعبد لقول القرآن : «ومن الليل فتهجد به نافلةً لك» (الاسراء آية ٧٩) (٧) ظهر

غير هذا التأثير شاهداً بسمو مصدره الالهي لكفى به دليلاً مفحماً ومعجزاً

ولنا أيضاً دليل آخر على الهاميته وهو انه سهل الاستحضار جداً حتى انه ليحفظنه اي من اراد على كثرة آياته وسوره وغموض[١] معانيه وسمو الفاظه ولكنه مسكوب[٢] في قالب[٣] شهي يكسب الصوت غنة[٤] واللسان فصاحة و بلاغة وطلاقة مع عدم لحن . تنفرج له الصدور وتتسع له قوائم القلوب وتتقوم به منحنيات العواطف وتستقيم به منحرفات الافكار وتلتقي به مفترقات[٥] النيات وتطيل به العزائم القصيرة لا يباريه كتاب آخر في العهد القديم ولا الحديث (صفق القوم تصفيقاً حاداً وصرخ بعضهم الله الله يا سبحان الله)

كذا من يتأمل في مراسيم الديانة الاسلامية وطقوسها يجدها من الطلاوة والجدة بمكان عظيم فلم تكن مقتبسة من مراسيم الديانة الموسوية وطقوسها بل اتت مبتكرة جديدة وهذا اعظم دليل على

---

(١) عدم وضوح (٢) مصبوب (٣) ما يفرغ فيه الشيء ليكون مماثل لما يصاغ منه وجمعه قوالب (٤) اخراج الصوت من الخيشوم (٥) متفرقات ومتشتتات

الالهامية بتلك المراسيم الجميلة ومنها حج البيت والاحرام [١] والطواف [٢] ورمي [٣] الجمار والاعتمار [٤] والختان [٥] والاستنجاء [٦]

هذا فضلاً عن ان شريعة القرآن فيها من المتانة والرقة والتناسب والملاءمة ما يفوق حد التصور البشري وبما لم يسبق بمثله نظير بين شرائع الامم . من ذلك الصلوات الخمس والاعياد والاحكام والفروض فهذه جميعها بعيد صدورها من عنديات [٧] رجل امي [٨] كمحمد (صلعم) فهذه دلالة واضحة على ان القرآن ملهم به من السماء من عند الله

زد على ذلك ماهو معلوم للكل من بلاغة القرآن المعجزية [٩] الى حد لا يباريه مبار حتى صار معجزة الانس والجن فلا يستطيع مخلوق ان يأتي بمثله كما ورد القول عن ذلك صريحاً في القرآن الحكيم

---

[١] عدم لبس المخيط في الحج [٢] الدوران بالكعبة [٣] القاء الحصى ثلاث مرات كل مرة سبعة يرجم بها ابليس في ثلاثة مواضع في الحج [٤] اصله التعبد لله ثم استعمل بقصد زيارة فكان مخصوصاً بالحج [٥] قطع غرلة الذكر اي الجلدة المغطية للحشفة [٦] ازالة النجاسة عن الدبر والقبل

[٧] مختلقات من عنده [٨] لايقرأ ولا يكتب [٩] التي تعجز الخلق على زعمهم

كذلك من تأمل في القصص المنزلة فيه والتي لم يكن لها اصل في التوراة ولا ادنى اثر في الانجيل يحكم لاول وهلة ان ذلك الهام الاله على رسوله الامين. من ذلك قصة ابرهيم والنمرود الواردة في سورة الانعام والانبياء ومريم والشعراء والعنكبوت والصافات والزخرف والممتحنة وغيرها. والا فمن اين جاء لمحمد العلم بما لم يقل به موسى ولا عيسى قبله؟ ومن ذلك قصة بلقيس ملكة سبا التي لم يذكر عنها في توراتهم الا القليل. وما ورد عن هاروت [١] وماروت [٢] وما جاء عن خوار [٣] العجل الذهبي الذي القاه السامري [٤] لاسرائيل فقد ذكر القرآن ان كان له خوار وان رجلاً سامرياً صنعه. وكلا الامرين لم تذكرهما التوراة فكيف امكن للرجل الامي ذكر هذين النبأين بدون وحي الهي عظيم فانظروا كيف تسطع الادلة الشافية [٥] بجمال الحقيقة التي تبهر عيون المنتقدين [٦] الكافرين والله تعالى اعلم

جلس الشيخ المنفلوطي بين تصفيق حاد واعجاب عظيم ولاسيما [٧]

[١ و ٢] اسمان لملكين نزلا من السماء وامتحنهما الله فوقعا بالخطيئة كما في القرآن لا غيره [٣] تصويت البقر [٤] نسبة للسامريين من بلدة السامرة الذين لم يكونوا وجدوا في زمن موسى تأمل [٥] من الامراض الجهلية [٦] الذين يميزون ما بالكلام من العيب [٧] كلمة يستثنى بها وهي مركبة من سي وما وتستعمل لترجيح ما بعدها على ما قبلها

فانه رأى وجوه الاغلبية باسمة وطال الوقت بعد جلوسه فلم ينتصر للوجه السلبي [١] منتصر . فجال صاحب الكرسي يتحدق [٢] القوم بنظره ويقول هل من مناظر [٣] هل من مباحث ينكر علينا ما قلنا ؟ فلم يجبه احد

واخيراً قام الشيخ ابو المكارم الصفدي وقال : ان المجال ياقومي حرج جداً ومن ذا الذي يقدم على الطعن في الهامية القرآن بوجه من الوجوه او بمعنى من المعاني ؟ ألا يعد مارقاً خارجاً عن الدين وعدواً للمسلمين ؟ ولربما خاف بعضنا عاقبة هذه الحال فسكتوا مرغمين. اما ونحن كمن يمتحن الذهب بالنار فاننا نعلم انها انما لتكسبه جلاء وبهاء فلا نخشى الدخول في الميدان وتفنيد البرهان بالبرهان حتى تنجلي الحقيقة فهي ضالتنا ننشدها في التوراة والانجيل والقرآن وعليه اقول والاسف ملء فؤادي انه لا اصعب علي من اثبات الالهامية للقرآن . بل وانني لدى استعمال العقل قليلاً يتضح لي ان القرآن على غير ما كنت اتمنى . (قال المنفلوطي يا لطيف يا لطيف) . قال

---

[١] السلب والايجاب كالنفي والاثبات [٢] ينظر بحدقته [٣] اسم فاعل والمناظرة علم يعرف به آداب طرق اثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليله بالبحث مع الخصم

الصفدي نعم واني طالب ان يلطف الله بعباده وينير بصائرهم فلا يؤخذوا بمصائد الضلال وأشراك الجهالة والعناد. يكفيني ياحضرات الاماثل في تبيان ذلك تفنيد ما قال مناظري . فلقد قال : —

ان القرآن كان في لوح محفوظ . وهـذا الدليل مسروق من ادلة اليهود ذلك انهم اقاموه على صدق توراتهم والهاميتها فقالوا انها انزلت على سيدنا موسى مكتوبة على لوحين من حجر وامروا بحفظها داخل سفط [١] من ذهب نقي في تابوت من خشب السنط الموشى [٢] بالذهب زماناً طويلاً هذا نص دليلهم فان ادعينا بمثل دعواهم وجب ان يكون لنا من كتابنا ما كان لهم من كتابهم بيان لمادة اللوح ومحل حفظه والا فالبرهان مسروق مما جاء في التوراة بسفر الخروج ٢٥ : ١٠ — ١٦ زد على ذلك انه اذا ثبتت اقدمية القرآن في لوح محفوظ منذ الازل كان ذلك دليلاً جديداً على ازلية التوراة والانجيل وسبق ازليتهما له . وذلك واضح جلياً من الاشارات والاقتباسات المقتبسة [٣] فيه من الانجيل والتوراة . من ذلك قوله في سورة الانبياء «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»

---

[١] تابوت صغير [٢] المنقوش [٣] المآخذ المأخوذة

ان ورود خبر كهذا عما ورد في مزمور ٣٧ عن الآية الحادية عشرة منه في كتاب محفوظ في لوح قديم لدليل على ان تلك الآية وذلك المزمور لأسبق ازلية واقدمية من القرآن الحامل ذلك الخبر. وعليه يكون دليلنا شاهداً بالفضل لكتب النصارى فضل الاسبقية والاقدمية عدا ذلك فاني لا أرى ان تلك الآيات التي اختصت بحفصة[1] وزينب[2] وغيرتهن[3] على الرسول وغيرة الرسول على ازواجه ومنعه الصحابة عن الدخول الى خيامه وما كان منه مع امرأة زيد[4] وما يماثل ذلك من الآيات والاخبار التي لا أرى فيها اكثر من انها روايات واخبار عن امور خصوصية فكيف نعتقدها مسطورة

---

[1] زوج محمد وابنة عمر بن الخطاب [2] بنت جحش زوجه ايضاً وهي امراة مولاه زيد التي طلقها لاجل ان يتزوجها محمد انظر سورة الاحزاب وتفاسيرها [3] وانفهن من الشركة فيه [4] وذلك انه اتى زيداً معتقه لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال «سبحان الله مقلب القلوب» وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد واتى محمداً فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال له أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيراً ولكنها تتعظم علي بشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها اي لا تفارقها (؟) ولكن كانت النتيجة ان زيداً طلقها فتزوجها محمد فأين العمل من القول ؟ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم . . . . ؟

مأثورة في اللوح المحفوظ . تعالى ذاك اللوح عن ان يحتوي مثل هذه الامور

(٢) اما قول جنابه بانه انزل في ليلة القدر[١] فلا اقول عنه الا انه لو اطلع على اقوال اخوته العلماء الذين وضعوا كتاب اسباب النزول لعرف ان الآية المختصة بامرأة زيد انزلت على النبي في يوم تقلبت القلوب وتم المرغوب وأن الآية المختصة بالاعمى قد انزلت يوم عبس النبي وولى وجهه عنه . ولكل آية زمانها ومكانها فلم ينزل القرآن في ليلة واحدة كما ادعى صاحبي

(٣) كلا ولم يكن القرآن مخبراً بما لم يخبر به التوراة والانجيل من امر الوحدانية التي زعم صاحبي انها كانت مجهولة عند عرب الجاهلية وغريب عندي انه يقول ذلك وهو يحفظ قول النابغة[٢] الذي قاله قبل مولد محمد صلعم

لهم شيمة[٣] لم يعطها الله غيرهم
من الجود[٤] والاحلام[٥] غير موازب[٦]

---

(١) هي ليلة السابع والعشرين من رمضان على أصح الروايات
(٢) الذبياني الجاهلي وهو شاعر مجيد مشهور (٣) طبيعة وديعة (٤) الكرم
(٥) العقول (٦) ذاهب

محلهم [١] ذات الاله ودينهم
قويم [٢] فما يرجون [٣] غير العواقب [٤]

فهؤلاء يعترفون بالاله الواحد . وكيف يصعب عليهم ذلك وقد كانت عقيدة الامة اليهودية ظاهرة مشهورة . ألم تكن قبيلة قريش من نسل سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابرهيم عليهما السلام . فكيف يقال ان ذرية ابرهيم كانت تجهل امر وحدانية الله تعالى حتى اتاها محمد (صلعم) فعلمها ما لم تكن تعلم . انها والله لفرية كبرى لا تغتفر لحضرة مناظري فما كان له ان ينزع عن القوم ما لهم فيبخسهم حقوقهم

فضلاً عن ان الوحدانية التي بشر بها موسى قومه وعيسى عصره لم تنحصر في اليهود بل ذاع خبرها في الشام والحبشة ومصر والهند الامر المذكور في كتب النصارى وبالتواتر الكنسي [٥] المعروف عندهم بالتقليد فان الحواريين بعد بعثة عيسى قصدوا هذه البلاد وماتوا بها

---

[١] مقصدهم [٢] مستقيم [٣] يخافون [٤] النهايات

[٥] نسبة للكنيسة معبد المسيحيين وقد تطلق على جماعة المؤمنين وهو المقصود هنا

واما عن القصص المذكورة في القرآن وليس لها بيان شاف[١] في التوراة والانجيل فاني اقول بكل اسف ان القصص الواردة في قرآننا الكريم يعسر فهمها الا اذا راجعناها في اصولها اليهودية او المسيحية وذلك لما بها من الاقتطاف[٢] والاقتضاب[٣] وفوق ذلك لم ترد بالقرآن قصة الا ولها اصل ان لم يكن في منزلات القوم ففي كتبهم التاريخية

فقال الشيخ ناجي لقد احرجت علينا الموقف جداً يا ابا المكارم وما كان ذلك عهدنا في مكارمكم وكيف لا وقد ضربت على الهامية القرآن بهذه الضربات الجارحة ؟ أأنت في ذلك تقول الحق الذي اقتنعت به . ام انت تقصد مغالبة النظراء في حومة الجدال[٤] فان كان على الاول فلقد خسرتك الامة الاسلامية يا أحسن ركن فيها وان كان على الثاني فلقد شهدنا جميعنا بمتانة بيانك وقوة برهانك

قال ابو المكارم . لا يا ابا علي فاني انما اقول الحق الصريح معتقداً بان هذا لا يضر اسلامي لان الاسلام ليس هو ان أومن بالهامية كل ما احتوى القرآن بل ان أومن بما امرني القرآن بالايمان به وذلك

---

(١) يشفي العليل من الجهل (٢) الارتجال (٣) اخذ خلاصة الشيء
(٤) موضع المجادلة والمجالدة

هو الايمان بالله واليوم الآخر وما عدا ذلك فاني اعتقد في كل امر بما يناسبه فاعتقد مثلاً في الغزوات والحروب انها كانت لازمة لتوسيع نطاق الاسلام وهذا شأن كل الفاتحين كنبينا صلعم واعتقد في ما يختص بتعداد الزوجات ان ذلك كان لازماً في ذلك العصر لازدياد العنصر[1] الاسلامي الا اني لا اشعر باني ملتزم باقامة ذلك فاحارب واغزو واتزوج باكثر من الواحدة التي اجد معها كل هناء وسلام هذا رأيي فان رغبتم الافاضة زدناكم او إن كنت قد اثقلت على اسماعكم فاغفروا لاخيكم والسلام على من اتبع الحق

قال هذا وجلس فتحزب المجلس احزاباً . وقال غالبهم ليتممن برهانه ان كنتم في البحث مخلصين . او ان كان قد راعكم[2] أن براهينه صدق فهل تكرهون هكذا افترق النصارى فرقاً ولكنهم لكتابهم يحترمون . فما ضرنا ان وجدنا وراء احتكك القراع[3] نوراً وهدى للناس اجمعين ! وكيف نعلم الناس ما نحن عن اثباته عاجزون

فهدأ العجيج[4] وسكن الضجيج واستدعى الرئيس الشيخ ابا المكارم لاستئناف البحث فوقف وقال

---

(١) الاصل (٢) افزعكم وخوفكم (٣) الترس والمجن (٤) ارتفاع الاصوات والجدال والشغب وجلبة الاصوات

(٤) واما قوله ان القرآن سهل الاستحضار وانه يكسب الصوت غنة الخ الخ . فهو قول ينقصه الواقع فقد ثبت لدينا انه لا يحفظه الا من انقطع لذلك منذ الحداثة فصرف الايام الاولى الثمينة في حفظه لاستظهاره وحفظه غيباً وبذلك يمتنع عن تحصيل اللازم من العلوم الشهية العصرية كالرياضة[١] والطب والحقوق[٢]

وبفرض صدق هذا البرهان فانه برهان اليهود من جهة زبورهم فانهم حفظوه ويكررونه يومياً في صلواتهم . وقد اكسب اصواتهم لعلعة ومعابدهم بهجة وبيوتهم اشراقاً لكونهم قد وقعوه[٣] على الالحان الموسيقية[٤] فنطقت به الآلات الشجية يترنمون به في المساجد والمعابد والعائلات بما يسحر القلوب والافهام ويملأ برهبة[٥] الخالق قلوب الانام

(٥) اما قوله ان مراسيم الديانة الاسلامية مبتكرة[٦] وشريعة القرآن وقصصه مستجدة فقد فانه الاطلاع على قول علماء النصرانية

---

[١] العلوم الرياضية هي التي لا تدرك الا بالعمل كالحساب والفلك والمساحة والموسيقى [٢] علم المعاملات الفقهية والقانونية بما يتعلق بالامم والدول [٣] وفقوه ونظموه [٤] الموسيقى فن الغناء والتطريب واصلها موسيكى يونانية [٥] بخوف [٦] مبتدعة لم يسبق لها مماثل

في ذلك فقد قال احدهم ان الختان كان عند الفراعنة [١] قبل ظهور الاسلام. والاهلال [٢] والاحرام من ربع الليل الاخير حتى غروب الشمس كان معتقد الصابئة [٣] وتقبيل الحجر [٤] كانت ولا تزال عادة الوثنيين قبل محمد (صلعم)

وماذا يقول مناظري لو قرأ قصة ابرهيم والنمرود في اساطير اليهود وكذلك جاءت حكاية ملكة سبا في ترجومهم [٥] كما جاءت قصة هاروت وماروت في كتاب لهم اسمه «مدراش يلكوت»

وتضيق بي فسحات صدوركم لو اني اخذت في البحث عن

---

[١] واحدها فرعون اسم علم على ملوك مصر القدماء [٢] رفع الصوت بالتلبية في عرفات [٣] قوم يعبدون النجوم وقيل قوم يزعمون انهم على دين نوح وقبلتهم مهب الشمال عند نصف النهار [٤] هو حجر اسود كان ثابتاً في حائط الكعبة ومن كثرة لمسه وتقبيله صار غائصاً في الحائط ويزعمون انه نزل من السماء ولا مانع من ذلك اذ ربما كان من النيازك السماوية والكنعانيون ومن جاورهم الى بلاد العرب كانوا يعبدون حجرا هو اله الذكر يقبلونه ويلتزمونه رغبة في ازدياد الشهوة والنسل. اما المسلمون حيث انهم اتخذوا الكعبة التي كانت كعبة مجتمع الاصنام عند العرب بيتاً لله فالحجر الاسود كيده اليمين ويجب تقبيل يمين الملك حين القدوم عليه والصحيح انه من بقايا الوثنية

[٥] كتاب شبه مقدس ديني مترجم من العبراني الى الكلداني ومقامه عند اليهود كمقام صحيح الحديث عند المسلمين

غير ما ذكر كقوله « واذ نتقنا [١] الجبل فوقهم كانه ظلة [٢] وظنوا انه واقع بهم » واريتكم ان هذه حكاية قديمة لليهود مع الههم كرشنة الذي خوفاً عليهم من عاصف زعزع رفع فوقهم جبلا اسمه كوقرز وعلقهم به سبعة ايام وسبع ليال

صرخ [٣] المنفلوطي : يا عباد الله اما كفى ؟ وصرخ معه كثيرون فجلس ابو المكارم ووقف الشيخ الهريدي وقال . والله لقد ضاق صدري وضاع صبري واحترت في امري واعجب كيف سكت علماؤنا ومشائخ طرقنا [٤] كل هذه الاجيال دون ان يتمكنوا من الرد على هذه الاقوال التي اوردها ابو المكارم . قرأها في كتبهم واحضرها اليكم فما كان لكم ان تصرخوا في وجهه وتقفوا في طريقه بالصراخ والعويل بل كان لكم ان تقنعوه بالبرهان والدليل فيحفظ لكم ويؤخذ عنكم من جيل لجيل . تحاولون اسكات مسلم يستلفت هممكم [٥] ويشحذ [٦] غراركم [٧] فان قصرتم فكيف تقفون امام اهل

---

[١] زعزعنا [٢] بضم الظاء كهيئة الصفة بيت صيفي بثلاث حوائط . والسحابة ظلة ايضاً [٣] رفع صوته [٤] جمع طريقة اي طرق المتصوفة [٥] جمع همة قوة الارادة [٦] ويحدد ويسن [٧] ما حدّ من سيوفكم أو غفلتكم

الكتاب لو انهم وقفوا موقفه وهم اصحاب البيت وانهم لأُدرى بما نقل عنهم

ترى هل نعتب على اخينا لانه سألنا فخيرنا ام نعتب انفسنا لاننا سُئِلنا فقصرنا ؟وهل الاسهل ان نخجل الآن فنصحو غداً ام نبقى في اهمالنا امر البحث فنبلى بمن لا طاقة لنا معه في موقف الجدال. لقد ظلمتم الرجل بل والله لقد ظلمتم انفسكم وهل يفلح الظالمون انصرفوا الآن ومن كان في نفسه شيء ضد حرية البحث لا يرجع مع الراجعين

المطارحة السادسة

الثلاثة الابطال
في
حومة الجدال

خرج الشيخ عمار والشيخ زين الدين وقلب عمار كأنه شعلة نار يكثر من الزفير والدحير . ويدمدم ويزمزم [١] كمن ينوء [٢] تحت هم كبير . فقال له زين الدين مالك يا عمار قال وددت لو عرفت ذاك الرجل الضئيل لاوقعته في جدال ثقيل قال اليك يا عمار عن بني النصارى فانهم والله لاقوى اهل الارض برهاناً على صحة ما يعتقدون . ولو انهم اوتوا من تعزيز القوة الحاكمة في هذه الديار ما اوتي المسلمون لكشفوا النقاب [٣] وظهر منهم العجب العجاب . فاجاب عمار وقال والله لو جمعني الزمان بعالم من علمائهم لافحمته افحاماً ولخذلته خذلاناً فيؤوب [٤] الى اهله ناكصاً [٥] بالخيبة ولا ادعه

---

(١) يصوت بصوت له دوي متتابع (٢) يقوم بجهد ومشقة
(٣) البرقع والغطاء (٤) فيعود (٥) راجعاً محجماً

يبارحني حتى يعترف لديك بانه مغلوب مقهور في حومة هذا الجدال

بينما هما في القيل والقال دخل الشيخ ابو قرّاعة متنكراً لاهثاً[1] واسر اليهما ان اسرعا وتنكرا ثم اقصدا منزل فلان الى ان الحقكما بمن اجده من اخوتنا العلماء. قال عمار وماذا عسى ان يكون بذاك المنزل . قال هناك ضالتنا المنشودة اسرعا فقد حان ميعادهم . قال وهل الدخول مباح لكل من اراد . قال لا ولكنك ستجد من يفتح لكما ويقبلكما على الرحب والسعة . وقف عمار وصاحبه امام المنزل في منتصف الليل تماماً واذا بخادم خرج من الباب فرأى ابا قرّاعة فلثم طرف اصابع يمناه تيمناً ثم قال ليدخل الشيخ ومن معه فدخلوا جميعاً في غرفة قفلت حالاً بعد دخولهم فتأملوا واذا بمنافذها تطل على صالة رحبة اشعل فيها البخور ولمعت المصابيح والثريات واعدت المقاعد ولم يمض الا قليل حتى برز في وسط الصالة ثلاثة رجال جلس كل منهم في مكان اعد له وكان الاول الحاخام دانيال اليهودي والثاني الشيخ عبدالله بن امين والثالث الشيخ حسان اليماني وحولهم عشرة او تزيد بصفة شهود

فانتصب الحاخام دانيال وقال :

---

(١) مخرجاً لسانه من فمه من شدة التعب

الحمد لله الواحد الاحد الذي لا ثاني له ولا له ند[1] رب يعقوب واسحق وابرهيم ورب موسى الكليم اما بعد فقد حضرت حسب الوعد في هذا المقام للبحث حسب طلبكم في اي الانبياء فاز بالاكرام المفرد وخصه الرحمن بالمقام الاوحد . وحيث اشهر الملل المعترفة بوجود الله عز وجل هي اليهودية والمسيحية والاسلامية وحيث انكم اعطيتمونا هذه الفرصة لتفخر كل امة بنبيها لتظهر الحقيقة مجردة عن الاهواء والغايات وحيث ان اليهودية اسبق من غيرها فواجب علي ان اقوم اولاً بما علي فاقول : لا يخفاكم ان اليهود هم سلالة ابرهيم الخليل وابرهيم هذا هو الشخص الفريد الذي افرزه الله من العالمين قديماً وكما افرز نوحاً قبله واهلك الباقي بطوفان الماء كذلك افرز سيدنا ابرهيم واغرق بقية العالم بطوفان الجهالة والكفر وهذا هو الشخص الوحيد الذي دعاه الله خليله ودعاه ايضاً ابا الكل المؤمنين . ترك الوطن والمال ورحل بوالديه وظل غريباً ووقعت له وقائع جمة بين الملوك فنصره الرب وانقذه وارعب خصومه وحول قلوبهم اليه فعرفوه انه سيد الانبياء وافضل الصالحين فطلبوا اليه ان يصلي من اجلهم فصلى واكرمه الله باجابة ما طلب

[1] بكسر النون مثل ونظير

ومشرّعنا[١] هو سيدنا موسى الذي لم يقم لامة نبي مثله كان يخاطبه الرحمن كما يخاطب الرجل قرينه واما بقية الانبياء والصالحين السابقين واللاحقين فكانت الارادة الالهية تأتيهم عن طريق الرؤى والاحلام[٢] كما ورد في التوراة

وسيبقى لنا هذا الامتياز العظيم بايننا ونبينا ما دام في الوجود فرد من بناتنا وبنينا

هذه هي الامة التي فداها الرب بكل ساكني كنعان[٣] والتي لاجلها اغرق المصريين[٤] في البحر الاحمر . هذه هي الامة التي ظللها[٥] بالسحاب حين سيّرها نهاراً وأنار امام خيامها بعمود من نار لدى استقرارها ليلا . هذه هي المتمتعة برعاية الرب وعنايته ولا تزال كذلك حتى تتم اقوال انبيائها باتيان ابن ابرهيم وابن داود ومثيل موسى ونظير ملكي صادق مسيا[٦] .مسيا ؟ آه.مسيا المنتظر الذي عند مجيئه تلتف حوله امته المحبوبة فيخضع الممالك والدول

---

(١) واضع السنن والاحكام الالهية (٢) جمع رؤيا وهو ما تراه بالقلب أو المنام والاحلام جمع حلم ما يراه النائم (٣) جعل ساكني كنعان فداها (٤) فرعون مصر وجنوده لما تتبعوا بني اسرائيل وادركوهم (٥) غشاها والقى عليها ظله (٦) المسيح

تحت قدميها ويجعل من ابنائها ملوكاً وسلاطين في انحاء المشرقين وتخفق الرايات والاعلام اليهودية فوق اصقاع المسكونة وتخضع كل ركبة ويخشع كل رأس عند موطىء قدمي مسيا الآتي الذي هو فخر الامة ومجدها وعند مجيئه الثاني تعلم السماء وتشهد الارض ان لا امة الا امته التي منها اتى وفيها ربي وكفانا فخراً بابينا ونبينا قديماً وبابننا المسيا المنتظر فنحن تاج الخليقة ومجدها وخلاصتها ومختاروها قديماً وحاضراً ومستقبلاً

نعم قد تزوج ابرهيم زوجات كثيرة وله منهن انسال[1] ولكن لم يختص بالوعد الا اسحق بن سارة الرئيسة على الجميع كما هو معنى ومدلول اسم سارة بلغتنا العبرانية وكما كانت ام اسحق رئيسة الجميع كان ابنها رئيس انساله بما فيهم اسماعيل وغيره وكذلك من اسحق اختص الله بالوعد يعقوب دون عيسو اخيه فالوعد بظهور مشتهى الخليقة الوحيد بين الكائنات والقصي الدرجات عمانوئيل[2] . مسيا . آتياً من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم . فان وجدت امة شريفة على الارض فهي امتنا. وان نبغ ذو اسم فخيم فهو من افرادها

---

[1] جمع نسل بمعنى الذرية [2] اسم المسيح بالعبرانية «عم» اي مع «نو» ضمير المتكلمين «وئيل» الله ومعناه ؟ الله معنا

وكيف لا تكون هامة الامم امتنا اليهودية وابرهيم واسحق ويعقوب آباؤهم ثم موسى ويشوع وصموئيل تقاتها ثم داود وسليمان ملوكها ثم ايليا واشعيا ودانيال انبياؤها ثم والمسيا ابنها وسيد الخليقة المنتظر بهذا ليفتخر المفتخر وينال الفوز على غريمه في الظلام الحالك

جلس الحاخام وجاء دور الشيخ عبد الله بن امين المسيحي فوقف وقال

واني اصادق تمام المصادقة على ما قاله جناب الحاخام دانيال واقول ان الشرف كل الشرف لابناء ابرهيم وامة اسرائيل لاولئك البنين الباقين على ايمان ابيهم ابرهيم وازيدكم بياناً ان بركة ابرهيم لا تصل من ابرهيم لكل اولاده فانها لم تصل الا الى نسل اسحق ذلك لانه كان في طاعة ابيه اما اخوته الذين خرجوا عنه فحرموا من تلك البركة كذلك ايضاً لا تصل البركة لكل افراد نسل اسحق فتشمل الفاسقين (١) والحانثين (٢) والسكيرين منهم بل تشمل كل من سار على الانموذج (٣) الابرهيمي ولو كان من غير نسل ابرهيم فان الله ليس بظلام للعبيد وقد شهد تاريخ الجبعونيين (٤) الذين هم

(١) التاركين امر الله تعالى والعاصين (٢) في حلفهم وايمانهم (٣) مثال الشيء معرب نموذه بالفارسية ويقال نموذج وقيل هو لحن (٤) نسبة لجبعون اسم مكان

ليسوا من اسرائيل لكن باتمائهم الى اسرائيل حفظهم الرب وباركهم وانتصر لظلامتهم من ظالميهم بينما ان المردة الاشرار من نسل ابرهيم دفعهم للحيات في القفر فاهلكت خيارهم كما ورد ذلك مفصلاً في محلاته بتوراتهم . فالعمدة في الفخر ليس لامة لابرهيم من نسله بل من ايمانه وهذه اكبر مكرمة للخليل من الله ان جعله اباً لجماهير كثيرة من غير نسله كما هو مدلول اسمه ومعناه في لغتهم العبرانية

والفرق بيننا ايضاً في نقطة اخرى اختلف عنه فيها وهو انه ينتظر المسيا الذي هو المسيح وقدصار رأساً جديداً لعصر جديد فلا موسى ولا ابرهيم ولا سابق ولا لاحق فهو حبيب الله وهذا لقبه اتاه من رب العالمين وابنه وكلمته وروحه . القاب وتجلات لم يتزين بها غير اسمه وكفى المسيحية فخراً انها موضوعة من المسيح الذي لم يكن من اب بشري كابرهيم وموسى وداود ولكن من روح الله

ولقدفاق فضلاً في ادبياته[1] عن ابرهيم الذي ذكرت له توراتهم انه كذب يوم سلبه[2] الكنعاني زوجته (تك٢٠) والذي لم يعف نفسه بل اكثر من الزوجات بالتتابع فلم يكن كالمسيح الذي ما ساء[3]

---

(١) تهذيباته وظرفه وحسن اخلافه (٢) انتزع منه قهراً (٣) ما فعل سوءاً ولا سيئة

قط ولا حدثته نفسه بهوى بكر [١] ولا بعشق حسناء [٢] ولا باغتصاب [٣] ربيبة [٤] ولم يتشبب بولدان [٥] ولا بحور [٦] ولم يدنس شفتيه بلفظ قبيح مما تستعمله البشرية حتى في كتبها من الالفاظ الدنية الدنسة بل كان طاهر اللسان ثابت الجنان [٧] جميل الصوت حسن الطلعة [٨] سليم البنية [٩] لم يصبه صرع [١٠] ولا مسه جنون . ولا سحره مشعوذ [١١] ولا غلبته حَيْزَبُونُ المسكرات كلا ولا احتاج الى الرقى [١٢] فرقاه الراقون بل زجر الشيطان وفتح العميان وشفى المرضى واقام الموتى وقال للشيء كن فكان

بمن يا ابن ابرهيم تشبه هذا الفرد الذي اصبح بلا ند . ألست

---

[١] بحب بنت بكر كعائشة بنت ابي بكر مثلاً [٢] كصفية بنت يحيي بن اخطب [٣] بالاخذ ظلماً [٤] الحاضنة وبنت الزوجة [٥] يقل النسيب ويصف ويشهي [٦] جمع حوراء وحورية نساء في الجنة على زعم المسلمين سمين بذلك لشدة بياضهن أو لحور باعينهن

[٧] بفتح الجيم القلب [٨] الرؤية والوجه [٩] الفطرة والخلقة [١٠] علة تمنع الاعضاء النفسانية عن افعالها منعاً غير تام [١١] مشعوذ ومشعبذ وزناً ومعنى وهو المحتال الذي يلقي الاوهام على الحواس ويتشبه بالسحرة [١٢] جمع رقية تلاوة الفاظ مبهمة مجهولة معانيها غالباً على المريض وكان جل رقى محمد من اسماء الله الحسنى والآيات القرآنية وبالاخص سورة الفاتحة حتى سماها الراقية والوافية والشافية

ترى انه وان كان داود اباه لكنه دعاه ربه؟ (مز ١١٠ [١]) هو صاحب الانجيل الذي لاتجد به كلمة تعجز قارئها ولا جملة مطلسمة [٢] فمعانيه من اشهى واشهر ما جاء في كل لغة . وحكمته وفلسفته [٣] فاقتا [٤] كل حكمة وفلسفة كما اقر العلماء خصوم الامة النصرانية. وشريعته! واهاً لها. فقد كسف [٥] نورها ما قبلها وما بعدها فانت تذكر يا ابن ابرهيم ان مشرّعكم موسى قال عين بعين وسن بسن واما محمد فاشترع قائلا «ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» اما المسيح فهو القائل «ومن لطمك [٦] على خدك الايمن فحول [٧] له الايسر ومن سخرك [٨] ميلاً [٩] فاذهب معه اثنين» . هو هو صاحب القول المأثور المشهور «احبوا اعداءكم باركوا [١٠] لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم»

ثم خال لنا ان الشيخ المسيحي تجرد عن عالم العيان فرفع نظره الى السماء وصرخ بصوت عظيم قائلاً «بمن يمثلونك يا عديم المثال ،

---

(١) اي انظر في المزمور (١١٠) قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئاً لقدميك الخ (٢) مبهمة معماة (٣) مرادفة للحكمة (٤) علت وشرفت (٥) حجب (٦) ضربك بباطن كفه (٧) فانقل (٨) كلفك عملاً بغير اجرة (٩) الميل الف باع والباع طول قامة الانسان (١٠) ادعوا لهم بالبركة اي الطهارة والنمو فيها

ويا روح الكمال، وياذا العظمة والجلال، والهيبة والاجلال، وحقك لئن هم لم يسلكوا معي سبيل الاعتدال، ويشهدوا بما لك فوق الكل من الكمال، لاصلينهم نار الجدال، وانت ولي ايها الرب المتعال،»

جلس بطل المسيحية وانتظر القوم ثالث الابطال وبعد بضع دقائق وقف الشيخ اليماني وقال يا رصيفيّ لقد مضى الليل والجسم في حاجة الى الراحة وان شئتم فاضربوا لنا موعداً نجتمع فيه لاستيفاء المناظرة وانصاف المناضلة فهب رئيس الحفلة وقال ما كان لك ان تتنصل يا زعيم المحمدية بحجة طلب الراحة وهب اننا اجبناك الى طلبك فهل يرتاح فؤادك ويسكن بين جنبيك بقية هذا الليل بعد الذي جاءك بهذا الكيل ؟ اجابه اليماني هذا الذي عليه اصررت ونويت وسيان عندي حكيت ما حكيت

اما الشيخ عمار فانه ما سمع كلام صاحبه حتى صرخ بصوت جهوري[1] قائلاً «لقد فاز بطل المسيحية عليهما فوزاً مبيناً ثم سقط بين ايدينا مغشياً عليه فانشغلنا كلنا بامره وعالجناه بما حضرنا حتى افاق فنهضنا به وخرجنا وعند الباب علمنا ان المتناظرين الثلاثة اتفقوا على الاجتماع بغروب الليلة التالية

---

[1] عال مسموع للجالسين

قصدنا ان نسير بالشيخ عمار الى بيته فقال لا والله بل الى بيت ذاك الزعيم اليماني وبعد جدال شديد حلف بالطلاق ثلاثاً من نسائه الثلاث ان يواجه الشيخ اليماني . فسددنا الخطى نحو رحابه فدخلنا واذا به يتملص من ثيابه فاندفع عمار يقول كيف لم تنصفنا مع المسيحي وكلامك اليوم يدور على ألسنة الكاتبين والمتكلمين من بني الاسلام. لماذا لم تذكر تلك المناقضات والمخالفات والتحريفات التي ضربت بها الانجيل والتوراة

فسرح اليماني في ذقنه وقال اليكم عني فاني ادرى الناس بما قلت من الشبهات والمناقضات ووالله ما ندمت على شيء اتيته في حياتي ندمي عليها لانها حرشت بني النصاري فانتقدوا القرآن كما انتقدنا كتبهم وعابوه كما عبناها . الى درجة لم يستطع احد من علمائنا الرد عليهم رداً مقنعاً يحسن السكوت عليه

ألم تسمعوا ما غصّصني به المسيحي وهو يناضل اليهودي؟ فماذا تكون حججه عند ما احرجه لمناضلتي

قال الشيخ عمار لا كان هذا اليوم ولا كان هذا الكلام لقد ضاق به صدري وحرت في امري . ألم يكن في وسعك مجادلته والخامه من جهة حقارة نبيهم الى حد انهم قالوا بقتله فقتلوه

قال اليماني بماذا اناضله يا عمار وهو يعلم عن نبينا انه كان رجلاً اميًا واعلم عن نبيه انه كنز [١] العرفان [٢] ومورد [٣] الحيران. هو يعلم عن نبينا انه ابن عبد الله واعلم عن نبيهم انه كلمة الله بل روح الله. هو يعلم عن نبينا غيرته على النساء واعلم عن نبيهم عفته مع وجود المريمات [٤] وهنّ جميلات اليهود، وحسان العشيرة، تجرأت احداهن عليه فدهنت بالطيب رأسه وقدميه وانكبت على قدميه تقبلهما وتمسحهما بشعرها وهو لم تحدثه نفسه بسوء من نحوها

هل اناضله باقوال الشعراء وقصائد البلغاء وهل ذلك يضمن لي الفوز على خصم لا يعتمد الا على شهادة الدليل الصادق والواقع أيمكنني الحصول على شهادة او نبوة صدرت من احد الانبياء السالفين يتعزز بها جانب نبي المسلمين بينما يمكن خصمي ان يغرقني تحت سحابة شهود يتكلم بعضهم عن شخص نبيهم والآخر عن حالة معيشته والآخر عن شريعته وتعاليمه وآخر عن آدابه وآخر عن موته وعن محل دفنه وعن قيامته

دعوني دعوني فاني اعرف من قوة خصمي مالا تعرفون.

---

(١) مجمع (٢) مصدر المعرفة (٣) موضع ورود الماء شبه المتحير بالجهل بالعطشان والعلم بالماء المروي من ذلك العطش (٤) جمع مريم

قوة حجة ، وكثرة شهود ، وانا ليس لي الا ما أختلقه وأحرّفه ، وأصوره ، واتهمهم به ، وليس لدي ما يؤيد ما اريد ايقاعهم فيه . . . آه . . . قلبي . . . قلبي يتقطع . . . لست مسلماً . . . ولا اريد اكون مسيحياً . . . ولكن اريد نكاية النصارى و — ثم غص في دمعه فشرق [١] فهرولنا [٢] نحوه ورششنا كاس ماء على وجهه فأفاق فقلت له ولكنهم ينتظرونك في غروب اليوم المقبل حسب وعدك قال ان يوم القيامة ميعاد

فتركته موقناً بانه قد عزم على الهروب تاركاً في قلوب ذويه غصة اين منها غصة يعقوب ؟

---

[١] غص وشهق فانقطع نفسه [٢] اسرعنا في مشينا

المطارحة السابعة

تعريف القرآن الصريح

في

تبيان مقام المسيح

خرج الشيخ عمار من المحاضرة الماضية كما مر بك ولم يقر له قرار حتى القى عصا [١] التسيار في منزل الشيخ ابي قراعة وبعد التحية قال له اريد ان نتطارح مرة في مقام شخص المسيح عيسى ادبياً والهياً . وتكون انت رئيس الحفلة

قال ذلك لك اذا اجمع عليه بقية اخوتنا العلماء قال لقد اجمعوا قال وما آية المطارحة التي اختاروها لذلك قال هي من سورة النساء قوله «انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا [٢] خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد [٣] له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا»

---

[١] كناية عن القرار بعد الاسفار [٢] كفواً وانزجروا [٣] نعم سبحانه اي تنزه وتقدس عن التوليد التناسلي الحيواني الذي يلزم فيه تقدم وجود الوالد على الولد ويكون بزرع زارع وكل مسيحي من اي طائفة كان

وقال وهل ضربوا لذلك موعداً. قال نعم وانه بعد يومين كاملين آن الاوان ونزلت خيل الرهان، الى ساحة الميدان، وتربع ابو قراعة

يعتقد بتنزيه وتقديس الله تعالى عن هـذه النسبة الحيوانية . ولكنهم يعتقدون ان الله سبحانه له ثلاثة اقانيم آب وابن وروح قدس قائمة بذات واحدة بغير تجزء ولا تبعض ولا تعدد بل جوهر ذاته المقدسة واحد روح غير محدود ازلي الوجود اله واحد احد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد لا يشبهه ولا يماثله شيء في الوجود ولم تكن له صاحبة ولا ولد بل سمى سبحانه كلمته الازلية في كتبه المقدسة التي تكلم بها على ألسنة انبيائه (ابناً)وهو هو الذي تجسد في بطن مريم وولد انساناً تاماً تطرأ عليه العوارض البشرية مثلنا تماماً الا الخطية فانه منزه عنها وحده فقط مع انه في حال جسديته لم يزل الهاً تاماً وذاته ذات الآب وذات الروح القدس بغير انقسام ولا تعدد والخلاصة ان المسيحيين عموماً يعتقدون باله واحد ذو ثلاثة اقانيم طبق اعلانه تعالى لهم بذلك ومعلوم ان المسيحيين والمسلمين واليهود يعتقدون بالاتفاق ان ذات الله تعالى وصفاته لا تصل الى معرفة حقيقتها وكنهها العقول البشرية ولذا لا يجوز البحث بها بل يجب التسليم والايمان بالغيب بكل ما اعلنه الله لنا من غير تردد وان جميع افراد الموجودات تعجز مداركها عن ادراك موجدها . والعجب كل العجب للقرآن من اين اتى بهذه الوصمة بل الفرية ونسبها للمسيحيين حتى صار عموم اخواننا المسلمين يظنون اننا نعتقد بتعدد الآلهة والتوالد بل التزوج ايضاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . راجع ان شئت خطبة التوحيد وهي ككل الخطب موجودة بطبعة (النيل المسيحية)

في صدر المكان ، وقال باسم الله الرحمن الرحيم هذا وقت الكلام عما صرحت به هذه الآية لعيسى من المقام . وما جاء على الكلمة الاخيرة حتى هب الشيخ عمار هبوب العاصفة ساعة الامطار وقال

لقد صرحت آية القرآن بان عيسى ما هو الا رسول الله فلا مميز له عن غيره الا بامتياز رسالته . وحالة عصره . وتلك خصوصيات ولكل رسول نصيبه منها هذا اولاً . وثانياً . قد اثبتت الآية عنه انه مخلوق بامره تعالى وذلك بدليل قوله «وكلمته القاها الى مريم» اي انه سبحانه وتعالى قال ليكن عيسى من مريم بنت عمران فكان منها بدون ان يمسسها احد من الانس او من الجان [1] ومثله في ذلك مثل

---

[1] اسم فاعل واحده جني واسم الجنس جن . والجنة طائفة وذا مأخوذ من الاجتنان وهو الاستتار سموا بذلك لاستتارهم عن الاعين . وجمهور المسلمين يزعمون انهم اجسام هوائية ذوات ارواح ومدارك مكلفون مثلنا التكاليف الدينية ومنهم المؤمن والكافر والطائع والعاصي يأكلون ويشربون ويتناكحون واعمارهم اطول من البشر بكثير حتى ان ابن ابليس ابي الجن ادرك زمن محمد وحضر عنده في المدينة وآمن به . واناس من الصحابة كانوا حاضرين ذلك المجلس المهيب بصورة ذلك الجني الغريب وحيث ان الجن قادرون على التشكل والتصور بأي صورة شاءوا من انسان وحيوان وبالاخص نوعي الحيات والكلاب والنبات والجماد ايضاً . اتى ذلك الصحابي الكريم بالصورة البشرية لكنها كبيرة جداً على ما رواه بالاسناد الصحيح

آدم اذ قبض الرحمن قبضة من التراب وقال ليكن منها آدم فكان كما بينه القرآن ان كنتم تذكرون وعلى ذلك فلا فضل لعيسى انما الفضل لآدم بالاسبقية عليه لان «الفضل للمتقدم»

الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي الصوفي الشهير حتى ان هذا الشيخ الاكبر اجتمع باحد صالحي الجن يطوف بالكعبة ووقعت بينهما مناظرات ظريفة . وقد صار له شيوخاً منهم ولا بدع في ذلك لانه من كمال الاولياء

(واما) لفظة ابليس فهي يونانية معربة اصلها ديابلس بمعنى قاذف أو مشتك ومجرب وله في الكتاب المقدس أسماء متعددة من اخصها الحية القديمة والتنين العظيم . والشياطين ارواح شريرة كانوا ملائكة اطهارا فسقطوا لعدم حفظهم لرياستهم الاولى ولما اخطأوا سموا اشرارا وارواحاً نجسة ورؤساء وسلاطين وولاة العالم واجناد الشر الروحية . (ويستفاد) من الكتاب المقدس ان اولئك الارواح خلقوا أولاً في حالة القداسة ثم سقطوا منها ولم يعلن لنا فيه متى سقطوا ولا المعصية التي سقطوا بها غير ان العلماء اجمعوا على ان خطيتهم الاولى كانت الكبرياء أو الطمع و(اذن) لهم بعد السقوط ان يسكنوا بعض الناس ويتسلطوا عليهم نفساً وجسداً (ويفيد الكتاب) انهم كثيرو العدد واقوياء جداً وان لهم قدوماً الى عالمنا ويقدرون ان يؤثروا في اجساد البشر وعقولهم كجسد ايوب وعقل حواء غير ان قوتهم محدودة من الله وان اعمالهم تجري بموجب نظام الطبيعة فلا يقدرون على حجز حرية الانسان ويحدثون فيه تأثيرات واضطرابات وآلاماً جسدية وعقلية وكل هذا ما زال سراً غامضاً على العلماء

(والخلاصة) ان للشياطين وجوداً حقيقياً لا مجازياً بأدلة كثيرة من

ثالثاً اثبتت الآية ان عيسى مأمور ومكلف بما قال وما عمل . هذا معنى قوله «وروح منه» اي انه نفخ فيه من روحه او هو رسول بما امره به والمعنى انه لا فخر له في ما فعله مما يفتخر به المفتخرون لانه لم يكن من عنديته بل كان مما اؤتمن عليه ولا فخر له ان هو قام اميناً وتمم ما ارسل لانفاذه فهكذا كان كل رسول قبله اميناً في ما عهد اليه

رابعاً ان الآية تطلب منا ان نؤمن به كرسول فقط لا اكثر من ذلك بدليل قوله «فآمنوا بالله ورسله» وان الذين يقولون غير ذلك انما يقولون بما لم يقل به المولى فهم افاكون [١] مختلقون [٢] ومضلون [٣]

الكتاب المقدس وغيره (واما الجن) فهي تخيلات وهمية منشأها الوهم والتفكر في تصورها حتى ان شدة التوهم لتخيل للبصر تلك الاشباح الوهمية في حيز الوجود كما تخيل لي ذلك مراراً عند تجربتي وامتحاني للرياضات السحرية والروحية في زمن الصبا ولولا حفظ الله الحفيظ لعبده الضعيف لذهب عقلي من تلك المشاهدات الوهمية . وتاريخ مذهب الاعتقاد بالجن واعمالها واستخدامها للانس ومعاهداتها بشروط وعزائم ورياضات متنوعة هو قديم جداً والمظنون ان العرب الجاهلية تلقت هـذا الاعتقاد الفاسد عن براهمة الهند [١] كذابون محدثون بالباطل [٢] مفترون [٣] ضد مهدين

خامساً وانها ايضاً تنفي لاهوت عيسى بقولها «ولا تقولوا ثلاثة اي ثلاثة آلهة» فان القائلين بذلك كافرون مردة ظالمون قد جنوا على انفسهم وعلى العالم جناية لا تغتفر

سادساً ان الآية اثبتت تبرؤ الرحمن من ان يكون له ولد كما جاء في آية اخرى قوله «وانه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً» (الجن ٧٢:٣) وعيسى مدعو عند النصارى ابن الله . يقولون ذلك ولا يخشون لوماً ولا تقريعاً [١]

فليس في الآية على ما ارى وما رأيتم شيئاً من الميزات لمقامه عن غيره من الرسل. وكل ما قيل هنا عن عيسى يصح ان يقال عن كل رسول سواه . فكلهم مأمورون بما عندهم ومصورون في الارحام بقدرة الرحمن ومكلفون بتأدية واجب لا محيص [٢] لهم من اتمامه

هذا الذي رأيته في آية مطارحتنا فان بدا لاحد خلاف ما ابديت فليفصح المقال في هذا المجال

قال ذلك وقعد واذا بالشيخ الصفدي انتصب واقفاً وبعد ان اذن له الرئيس اندفع يقول

---

[١] تعييباً وتوبيخاً [٢] مهرب ومحيد

اما والله وان كانت آية في قرآننا تقارب آيات الانجيل في الفاظها ومعانيها فليس غير هذه الآية . حتى انه ليخال للطالع انها مقتبسة من الانجيل ليس الا

من ذا الذي يقرأ قول الانجيل «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله» وقول التوراة «وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم» وبعد ذلك ينكر ان تسمية عيسى بروح الله وكلمة الله مقتبسة من التوراة والانجيل وانها ليست من مبتكرات[١] القرآن

وهل هذه الآية هي كل ما قاله القرآن في تبيان مقام عيسى ؟ ألم يقل في سورة المؤمنين «وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار[٢] ومعين[٣]» اتنسون ما ورد في سورة المائدة قوله «وقال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ

---

[١] جمع مبتكر أول ما يدرك من الشيء ولم يسبقه به سابق [٢] مستقر من ارض منبسطة [٣] وماء معين ظاهر جار

تخرج الموتى الخ الخ » وغيرها وغيرها مما لا يسعني المقام ذكره .
وملخص هذه الاقوال (١) ان عيسى كلمة الله (٢) انه روح الله بحكم آية النساء (٣) وانه المؤيد بالروح القدس (٤) وانه الجامع الشارح للكتب المنزلة من توراة وانجيل (٥) وانه الخالق باذن الله من الطين طيراً (٦) وانه المقيم الموتى من قبورهم (٧) وانه المبرئ ذوي الادواء[١] من عاهاتهم[٢] وآفاتهم (٨) وانه آية الآيات بحكم سورة المؤمنين (٩) وانه الوجيه في الدنيا وفي الآخرة ومن المقربين (١٠) وانه المكمل فيه ملء[٣] الصلاح من مهده الى بعثه

عودوا معي والعود احمد الى معنى قوله « ان عيسى كلمة الله » ومعناها حسب رأي سابقي ان الرحمن قال بوجوده فكان له الوجود ومَنْ مِنَ الانس والجن لم تصدر في حق كيانه لفظة كن فكان . اليس ان العزيز الحكيم قال عن كل كائن في السماء والارض والهواء والبحر كن فكان ؟ لعمري إن كان هذا المعنى هو المقصود فلماذا اختص الله عيسى بتوجيه هذه الكلمة اليه فقال انه كلمة الله حال ان الخليقة كلها ما خلقت الا بهذه الكلمة عينها ؟

الا يلوح لانصافنا ان تخصيصه التسمية لعيسى بانه كلمة الله

---

[١] جمع داء [٢] الآفات والاوجاع [٣] جمع

يتضمن مميزاً لم يتميز به غيره . هل يتصور الجنين ببطن امه بدون ان يقول له القدير العظيم كن فيكون فلماذا اذاً لم يدع الخضر ويونس ومحمد طه عليهم السلام بمثل ما دعي به عيسى « كلمة الله » (وهنا قال الشيخ الاسناوي اي والله اي والله يا ابا القاسم ما اشد برهانك وما اجلى واحلى بيانك) ثم ان الصفدي استطرد قائلاً لقد نصع [1] البرهان وسطع بان هذه التسمية غريبة في بابها وانها انما تواترت الى الى القرآن عن التوراة والانجيل لانها مقتبسة منهما افلا نكون بحكم العدالة والانصاف مضطرين ان نقتبس المعنى للفظ الذي اقتبسناه من محله . ايجوز ان نقتبس كلاماً ونلبسه معنى غير ما وضع اليه في محله . ترى ان فعل النصارى ما انتم تفعلون فاقتبسوا من القرآن جملة ثم فسروها على الوجه الذي شاءت اهواؤهم ضاربين عن تفسير علمائنا اعرضى بذلك ام نلزمهم بمعنى ما اقتبسوا لفظه ؟

قال الانجيل جملة فاخذ القرآن نصفها وترك النصف الآخر . وجملة الانجيل هي هذه «في البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله» فهو انما يتكلم لا عن عيسى المولود من مريم بل عن عيسى قبل ولادته وقبل ولادة امه بل

[1] وضح بياضه

وقبل ولادة آدم اذ قال « هذا كان في البدء عند الله » اي ان هذا المسمى بكلمة الله كما اقتبسه قرآننا والذي هو الله بحسب نص كتابهم هذا كان في البدء منذ الازل عند الله

فقد كان شخص عيسى ـ قائماً منذ البدء ككلمة الله بل كالله نفسه وهذا قول المسيحية وعلمائها فلزمنا ونحن نقتبس هذه التسمية من موضعها ان نقتبس المعنى ايضاً التي وضعت لاجله فلسنا بعد احراراً نفسرها كيف شئنا لانها مما لم يقع تحت تصرفنا بل وقعت تحت تصرف سوانا قبل ظهور قرآننا بستماية عام وقبل ان يكون له رأي فيها

(قال الشيخ بدر اصبت والله وانصفت) فكبر الامر على الشيخ عمار البرديسي فصرخ قائلاً الا من نهاية لهذه السفسطة [1] فنهض الشيخ بدر قائلاً : لا لا . حتى يتم الصفدي كلامه . وما كان للعلماء ان يقاطعوا حديث بعضهم . تلك خلة [2] الجهال . دعوه يقرر كل ما حضره في هذا الموضوع فانْ رداً مفحماً فبها والا فالخضوع الزم ... ولكن جلس الصفدي ولسوء الحظ لم يشأ ان

---

[1] يونانية بفتح السينين وكسرهما هي قياس مركب من الوهميات لاجل الخام الخصم واحدهُ سفسطة وجمعه سفسطات [2] خصلة

يزيد على ما تقدم . . . فرجاه القوم واعتذر الشيخ عمار وعند ذلك وقف واستأنف القول فقال

واما القول ان عيسى كان مكلفاً ومأموراً بما اتاه وفعله فلا فضل له . نقول ان التسليم بذلك لا يمنعنا من الاعتراف بعظمة ما امر به وتكلّفه . فلقد كان ما عهد اليه اعظم مما عهد الى نبي آخر من الانبياء او رسول من الرسل فان قرآننا الكريم لم يعترف لغيره بما اتاه من اقامة الموتى وابراء المرضى وخلق الطيور . ومن منكم يقول بان السلطان الذي جعل الله عليه ادارة مملكة انما هو كاحد الفراشين الذي قسم له ان يعيش كناساً في بيت لآخر عمره . نعم ان كلاً منهم مأمور بعمله ومكلف به من الله ولكن لا ينكر ما لعمل الاول من الامتياز على عمل الثاني بنسبة امتياز السلطان عن الخدام . وعليه فيقوم البرهان خير قيام بسمو مقام عيسى من وجهة سمو عمله وسمو مزاياه التي منها انه كلم الناس في المهد الامر الذي لم يسمع في حق احد غيره . لقد قالت الكتب عن كل نبي انه كان رسول قومه يدعوهم الى التوبة واما كتاب عيسى فانه قال بانه هو الذي احب قومه وبذل نفسه عنهم وهو عمل لم يذكره نبي لنفسه غيره . وجاء بالتوراة وصف هذا العمل الخطير فصور المسيح بصورة

الحمل [١] الموضوع عليه خطايا قومه المذبوح للتفكير عن خطاياهم. امور لم تسمعها الاكوان من انبيائها فكيف لا نعترف بالافضلية بعمل عيسى ونشهد بالتفوق له على اعمال من سواه من النبيين. واما القول بان النصارى قالوا بان الله اتخذ زوجة وولداً فهو قول لم يسمع لا من سفلتهم ولا جهلتهم فكيف يصدر من علمائهم

واما القول بانهم يقولون بثلاثة آلهة فهذه تهمة عظمى وفرية كبرى لان النصارى لا يقولون بثلاثة آلهة بل باله واحد في ثلاثة اقانيم او ثلاثة اقانيم في اله واحد. فهم موحدون كما نحن بل واعتقد انهم اقرب الى الوحدانية من المسلمين ... (قال المنفلوطي ابداً لا والله ابداً) ... قال الصفدي مهلا فاشرح عقيدة القوم في الاقانيم الثلاثة. ذلك ان البسملة عندهم هي «باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد» فهم يعتقدون في ذلك الاله الواحد ثلاثة اشخاص اب وابن وروح القدس. سألتهم كيف ذلك (قال الدمنهوري وبمَ اجابوك يا ابا احمد عند ذلك) قال انهم اسكتوني بما اجابوا. ذلك انهم قالوا وانتم بم تعتقدون في الذات الالهية. قلت نشهد ان الله واحد أحد قالوا وهل تعقلون بما به تشهدون؟ قلت نعم. قالوا ان تعريف

[١] هو الخروف (بفتح الحاء والميم)

الواحد عند ارباب اللغة هو ما تركب من اجزاء فان كان الله واحداً فما هي اجزاء ذلك الواحد. قلت ان الله واحد لا جزء له قالوا بماذا تمثل لنا ذلك لنتقبله عقولنا قلت انه واحد لا مثيل له قالوا وكيف ذلك قلت لا يقال له كيف ولا لماذا قالوا وكيف اقتنعتم بما لا تعقلون قلت هكذا جاء في القرآن الكريم «قل هو الله احد» قالوا اذاً حجتكم هي الرجوع الى المنزل والاعتصام به قلت نعم قالوا تلك حجتنا في الثلاثة فقد جاء في الانجيل يوم نزول عيسى الى بحر معموديته «واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السموات قائلاً هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» قلت ان كان الامر كذلك فانتم معذورون في اعتقادكم عذرنا في اعتقادنا ويوم القيامة ميعاد... وفوق ما ذكر علمت انهم لا يقولون بولادة عيسى من الله كما نقول نحن بولادة الفرع من الاصل بل ان الابن عندهم من جهة الاقنومية موجود كائن عند الله اما من حيثية جسده فهو مولود من بطن مريم غير مخلوق لسبق وجوده عليها قبل الحلول في بطنها... هذا هو عيسى الغريب العجيب كما شهد عنه احد انبياء التوراة حيث دعاه عجيباً غريباً وهو شخص في الاله الواحد واسمه كلمة الله موجود قبل ولادته وهو رسول الرحمة والخلاص

اسمه عيسى اي مخلص عليه افضل الصلوة واذكى التحية والسلام هذا مجمل ما رأيت وبه اكتفيت والله الهادي الى الصواب

قال الرئيس ما رأي العلماء في ما سمعوه فاجاب الشيخ بدر اني مصادق على قول ابي القاسم وكذلك قال الدمنهوري والاسناوي والمنفلوطي والاصوانلي والهريدي والمغربي قال الرئيس واني أيضاً مؤمن على ما قيل ومؤمن به

قال عمار او انت ايضاً تصادق على امتياز عيسى عن النبيين يا قراعة قال نعم لاني لست اكبر من الحق. لقد شهد محكمات القرآن صريحاً لا تلميحاً بانه آية الآيات نعم ولقد كان آية في ولادته من غير زرع وكيانه من غير وضع وفي تسميته كلمة الله وروح منه الامر المثبت له الازلية كما نصت عليه كتب المسيحية. انظروا كيف يكرمه علماؤنا فقد قال الامام الرازي ان عيسى هو «واهب الحياة للعالم في اديانهم» وقال الامام البيضاوي: «فيه روح صادرة من الله رأساً بلا وساطة وسيط في الاصل والجوهر». نعم هو آية الآيات في شرعه فانه مما لا طاقة للطبيعة البشرية لاشتراعه. لقد اباح هرون لقومه عبادة العجل واباح موسى لقومه حرفية العدل واما عيسى المسيح فشريعته الكمال في الفضل. وهو آية الآيات في

عبادته فلم يدفع الناس الى عبادة الخالق حباً في مأكل او ملبس او لذة اخرى بل تفوق على من سواه داعياً الناس الى العبادة في طريق المحبة لله الذي احبهم . فله المقام الاسمى والمركز الابهى بهذا شهد الرحمن ونطق القرآن والعاقل من خضع للحقيقة فقبلها لا من تجاهلها وقاومها . ثم قاموا وانصرفوا

الخاتمة

مضى رَدَحٌ [١] من الزمان بعد تلك المواقع الماضية ولم يسمع شيء عن اصحابها فقام في نفسي ان ابحث الامر لاستجلاء النتيجة التي وصلوا اليها بعد تلك الابحاث اللذيذة. وكم كان سروري عظيماً مذ علمت ان القوم ظلوا يقرأون الانجيل ويسألون معلمي المسيحية عما تعسر عليهم فهمه. وانهم في آخر اجتماع لهم وقف بهم الشيخ بدر السنوسي وقال «لقد انبلج [٢] صبح الحقيقة فماذا انتم فاعلون. اجاب الشيخ الهريدي اننا والحق اولى ان يقال لا مسلمون اليوم ولا مسيحيون ولا راحة لضمائرنا والحالة هذه فالاجدر بنا ان نقف على احد الشاطئين [٣] ونقول باحدى العقيدتين [٤]. وبعد المداولة طويلاً اجمع رأيهم على الاعتراف بالمسيحية جهاراً والسعي لقبول علامة المعمودية ختماً لايمانهم. وفي هذه الاثناء دخل الشيخ عبد الله ابن امين المسيحي فهشوا [٥] في وجهه وبشوا [٦] واوقفوه على ما آل

---

(١) بفتحتين مدة طويلة (٢) ضاء (٣) مثنى شاطئ بمعنى الجانبين

(٤) هما عقيدة المسلمين وعقيدة المسيحيين

(٥) تبسموا (٦) اظهروا السرور به وفرحوا مع طلاقة الوجه

احلامهم وما عقدوا عليه النية والعزيمة وطلبوا ان يتكلم بما حضره في هذا الموضوع فلبى طلبهم وقال — اعلموا ايها السادة انه قد ظهرت لكم الحقيقة الخلاصية[١] وعلمتم سيادة الخطية على البشرية وتأكدتم ان سيدنا عيسى عليه السلام هو الفادي[٢] للخطاة فاردتم الاعتراف بذلك لراحة ضمائركم وتسكين ثائركم[٣] الا ان ذلك ليس كل المطلوب بل بقي شيء آخر لا ينقص في الاهمية عما عملتم وهو الشعور[٤] بضرورة تخصيص هذا العمل الخلاصي العمومي ليكون شخصياً لكل منكم. نعم ان الايمان بالمسيح ومعرفة شخصه ووظائفه والاعتراف بكل ذلك واجب ولكن يعوزكم[٥] شيء آخر وهو ان تكون لكم شركة عملية مع المسيح واتحاد حقيقي بحيث تحيون بحياته وتتحركون بقوته فتصيرون على الخطة المسيحية الحقة مظهرين سمو شخصه في معيشتكم وقداسة[٦] شرعه في تصرفكم وطهارة انجيله في معاملتكم وسلطة روحه القدوس وقدرته في طبيعتكم واخلاقكم. تعترفون وتعتمدون باسم المسيح النبي فهل امتلأتم من

---

(١) طريقة الخلاص من الهلاك الابدي وكيفيتها (٢) الذي فدى العالم اجمع مختاراً بدمه المسفوك على الصليب (٣) هياجكم (٤) العلم والاحساس والتفطن (٥) تحتاجون الى (٦) وطهارة

روح نبوته وتعليمه وباسم المسيح الكاهن [٢] فهل كانت لكم ذبيحته الكفارية؟ وباسم المسيح الملك فهل انتم من جنوده الذائدين الدافعين عن حوض مسيحيته؟ ان المسيحية يا قوم لا تقوم باستظهار آيات الانجيل ولا بترتيلها بكرةً [٣] واصيلاً [٤] بل تقوم بالانتصار على عاداتنا واهوائنا وتغييرها بما هو حسن ونافع. فشكره القوم على هذا البيان وقالوا اننا نثق بنعمة الله لتقويتنا ونطمع برحمته لاعانتنا ونتكل على تأييد روحه القدوس بنياتنا في ما فيه مجد اسمه وخلاص نفوسنا. والآن نلتمس ونطلب منك ان تحمل رسالتنا هذه الى راعي الكنيسة وعشمنا اجابة ملتمسنا وهو تعميدنا في الاقرب الأعجل

بزغت [١] شمس الاحد وكان الطقس جميلاً فدبت الحرارة في عالم الوجود واستنارت الكائنات بنور ذلك الكوكب الباهي المنير واستكنّت الضواري [٢] في مخابئها واختفى البوم والخفاش [٣]

---

[٢] الكاهن هو الذي يقوم بالخدمات الدينية فيقدم الذبائح ويقرب القرابين وسمي المسيح كاهناً لانه قدم نفسه ذبيحة فدائية عن بني آدم اجمعين بلا تمييز بين قوم وآخرين [٣] صباحاً [٤] مساء بعد العصر الى الغروب

[١] طلعت [٢] جمع ضاري وهو الوحش اذا صاح من شدة الجوع [٣] البوم طائر يسكن الخرائب ويضرب به المثل في الشؤم والخفاش هو الوطواط سمي به لصغر عينيه وضعف به ومنه يقال لمن يبصر بالليل دون النهار اخفش

وكل ما كان لا تقبل طبيعته النور وازهرت الرياحين وفاح عبيرها وتألقت[١] الطبيعة في مجدها الممنوح لها من الخالق العزيز وظهرت ايادیه البيضاء فيها فنطقت الالسن وترنمت الافلاك بمجده وحمده. ومن حسن الاتفاق انه كان ذلك اليوم موعداً مضروباً لتعميد رجل من الاميين[٢] آمن بالمسيح وطلب العماد. دخل المشايخ الكنيسة فوجدوا الرجل قائماً امام المعمودية يقول له الراعي «لماذا تطلب ان تتعمد يا احمد؟» فاجابه الرجل لانني يا سيدي اعتقد انني بالمعمودية أشهدكم بالتصاقي مع ذاك الذي اشهد السماء والارض يوم صليبه بحبه لي وفدائه اياي. احب ان تعرفني الخلائق كلها عبداً لحبه اسيراً لشرعه مديناً لفضله. احب يسوع. نعم احبه وأومن به وأحترم شخصه وأقدس قوله وأعيش بروحه وبغير ذلك لا راحة لي لا في الليل ولا في النهار ولذلك جئتك راجياً قبولي وتعميدي باسمه

فرفع الراعي يديه الى السماء وقال اللهم انت الذي اطلقت لسان هذا الرجل الامي فاعترف بهذه الاقوال الثمينة والعظيمة وما ذلك

---

[١] لمعت وضاءت لان الخفاش يعمى بالنهار ويبصر في الليل وهو بضم الخاء

[٢] الذين لا يعرفون القراءة والكتابة نسبة الى امه لانه ولد منها لا يعلم ذلك وكل من ليس من بني اسرائيل فهو من الامم ومفرده أمي وجمعه أميون

الا عمل نعمتك في قلوب الذين تنعم عليهم بنورك الحقيقي فيرون ما مالا يرى سواهم وتمتلئ جوارحهم من الحب ليسوع والثقة به والاتكال عليه فباركه يارب وعمده بروحك القدوس حينما اعمده بالماء وليكن شجرة مثمرة في بيتك لمجد اسمك وحمدك آمين . ثم انه قال يا احمد اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين . فقالت الجماعة نعم آمين . ثم صعد الراعي الى المنبر وطفق [1] يشرح مخاطباً السامعين عن المعمودية وكان المشائخ معجبين جداً مما فاه به الرجل الامي وشعروا في نفوسهم انها حقيقة محبة الله التي ملأت قلبه ونعمة الله التي اطلقت لسانه فنطق بما يصعب على احكم الحكماء واعظم العلماء اتيانه. الا انهم لم يلبثوا حتى استلفت الواعظ انظارهم الى كلامه اذ قال « اما المعمودية فقد وضعها الله في كنيسته علامة لفرز شعبه عن العالم واختصاصهم به تعالى . ظاهرها الماء وباطنها انسكاب الروح القدس على المتعمدين وهي العلامة الوحيدة المميزة للمسيحي عن غير المسيحي كما كان الختان قديماً المميز الوحيد للإسرائيلي من غير الاسرائيلي . وقد حلت المعمودية محل الختان لاظهار ان المتعمدين هم الامة المقدسة والشعب المقتنى . اما موضوعها فهو

[1] ابتدأ واخذ

الاعتراف بالايمان بالمسيح المخلص . اعتراف من مات عن الخطية وقام للحياة القدسية فكل الذين يقبلون صِبغَة[١] المعمودية يمسون تحت مسئولية عظمى للمسيح ولحق المسيح . اما المسئولية للمسيح فهي التي تلزمهم ان يميتوا طبيعتهم وينكروا اهواءهم ويظهروا طبيعة المسيح فيتخلقوا باخلاقه ويتأدبوا بآدابه ويمتلئوا بروحه حتى يكون المعترف به حاملا صورته وهذا هو سر المعمودية وجوهرها العظيم ان المعتمد لا يكون بعد تعميده كما كان قبلا بل يخرج من المعمودية حائزاً قلباً جديداً وروحاً جديدة . وهذه الجدة لا تتأتى عن ماء المعمودية بل عن روحها المطهر الذي قام الماء بهادليلاً عليه ورمزاً[٢] اليه حتى ان من لم تظهر عليه سمات الجدة[٣] في آدابه واخلاقه وعاداته بعد المعمودية يصير اشر من غير المتعمد دنيا وآخرة

اما المسئولية لحق المسيح فمعناها مسئوليتهم للعالم الذي لا يعرف للمسيح حقاً الا بواسطتهم ولا يتم اصلاحه الا بظهور حق المسيح لتقويم المعوجات واصلاح الفاسد فاصبح من المحتم على

---

(١) الصبغة بكسر الصاد الاعتماد بالماء نصرانية وهي صبغة الله (سورة البقرة آية ٣٨) (٢) الرمز ما دل على حقيقة كشعاع الشمس الدال على وجودها في السماء (٣) علامات التجديد

المتعمدين الذين عهد اليهم المسيح ان يحملوا صورته وينادوا بخلاصه ان يؤدوا هذه الخدمة للعالم مقيمين حدود انجيله والا فقد اساءوا الى العالم فوق اساءتهم الى من اقامهم لهذا الغرض. . . . ويل للعالم اذا لم ينبعث [١] عن المتعمدين نور الايمان والتقى ونور الطهر والحق والعرفان الصحيح لقشع [٢] ما طمس ابصاره واضل افكاره من الضلالات والشرور التي جعلته اتعس حالاً واشر مآلاً . . . سر المعمودية لا ينحصر ظهوره ساعة اعتراف المتعمد وتعميده ولكنه يملأ حياته فيظهر في كل حركة وسكنة تتخلل [٣] كل ايام حياته. . لقد كفر الذين يزعمون ان المسألة كلها قاصرة على الاعتراف والعماد دون ان تكون حياتهم مظهراً لظهور نتائج معموديتهم من اعمال الحب العظيم بمن اعتمدوا باسمه والالتصاق الكامل به والطاعة لشرعه بحيث تكون حياتهم بعد عهد المعمودية كحياة العروسين بعد عهدهما الذي قطعاه ليلة القران [٤] بان يكون كل منهما محباً واميناً للآخر فكلما مرت دقيقة او ساعة بعد ذلك سعى الواحد بارضاء الآخر واظهار مابه يبرر عهده ويبر بوعده والا فان ظهر في

---

(١) مطاوع بعث بمعنى انتشر (٢) لكشف (٣) تخالط (٤) الزفاف والاجتماع

حياتهما غير ذلك فقد صار عهدهما ليلة القران لغواً عاطلاً واثماً وباطلاً

وقف الشيخ ابو المكارم الصفدي وقال اني يا حضرة الراعي اشهد الله واشهدكم باني قبلت السيد المسيح ابن الله فادياً ومخلصاً لي مما انا مثقل [١] به من الخطايا الثقيلة ومن جرمها [٢] الهائل اموت معه عن كل دنس وفجور واقوم معه لأحيا بل ليحيا هو فيّ فأفرح وأتمتع بنعمة خلاصه المجاني الذي وهبنيه منةً [٣] منه واحساناً وواعداً ان انال ختم ايماني بتعميدي باسمه الكريم

وحالما جلس قام الشيخ بدر وبعده الشيخ طاهر وهكذا الى آخر واحد منهم وكل يقول مؤمناً على ما قاله اخوه ويختم قوله بطلب العماد. فلما سمع الراعي هذه التعهدات وهذه الاعترافات شخص الى السماء وقال ايها الاله العظيم وازن ارواح البشر والرقيب على افعالهم. انا نشكرك على الفتح المبين الذي فتحت به على هؤلاء الاخوة المحبوبين ونشكرك يا من شرحت صدورهم ونقلت اوزارهم [٤] وهديتهم الى نورك الأجلى والى حقك الاسمى . فباركهم بحقك واحمهم بظلك واجذبهم الى نفسك هم وازواجهم وبنيهم وبناتهم

---

(١) حامل ما ثقل حمله (٢) ذنبها (٣) نعمة بغير مقابل لها (٤) احمالهم من الخطايا

واشرق على قلوبهم بنور حنانك [١] فيزدادوا بك رجاء واليك انتماء والتجاء وعوض عليهم اضعاف ما تركوه رغماً واختياراً وأسبل عليهم سترك ليلاً ونهاراً وطيب قلوبهم واصلح شؤونهم بمعمودية روحك القدوس انك انت الجواد الكريم باسم المسيح نطلب — آمين

ثم انهم اقتربوا الى المعمودية فابرقت اساريرهم [٢] وملأ النشاط قلوبهم وسمات [٣] الفرح بادية على وجوههم وخلعوا العمائم جانباً وقال الراعي اعمدك ياشيخ طاهر باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين واعمدك يا شيخ بدر باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين وهكذا حتى عمدهم جميعاً وحين انتهاء معموديتهم هتفوا [٤] مرنمين قائلين «ماذا اردبدل الاحسان للمولى العظيم»

كاس الخلاص اتناول باسمه الكريم

ثم انهم جلسوا في الحال حول المائدة الربانية وتناولوا مع الاخوة المسيحيين وقطعوا عهد المحبة مع الذي احبهم ثم رتلوا [٥] ترنيمة ٢٣ ثم صلوا

---

(١) رحمتك (٢) لمعت خطوط وثنيات جباههم (٣) وعلامات
(٤) صاحوا مادين اصواتهم (٥) نسقوا ونظموا وحسنوا وغنوا هاتفين

وبعد ذلك قال المعتمدون مرتلين

يكون اسمه الكريم للآباد

كذا امام الشمس قد يكون ذا امتداد

به تبارك الانام والعباد

له تطوب [١] الورى في سائر البلاد

فقالت الكنيسة

مبارك الهنا على الدوام

من وحده قد صنع العجائب العظام

وقال الجميع معاً

تبارك اسم مجده بكل حين

والارض طراً تمتلي من مجده آمين

انصرفت الكنيسة اما المشايخ فانهم قصدوا منزل الراعي وفي اثناء الحديث قال الراعي احب ان اعرف السبب الذي دفعكم لاعتناق [٢] المسيحية

فاجابه الشيخ فاضل اننا لم نؤمن بالانجيل بواسطة شهادة احد

---

[١] الطوبى مصدر بمعنى الطيب اصله طيبى قلبت الياء واواً لسكونها بعد ضمة الغبطة والسعادة والحسنى والخير [٢] لاتخاذ والتزام والاصل «انتحال»

من بني النصرانية ولكننا آمنا بالانجيل بناء على شهادة القرآن نفسه له

وقال الشيخ ابو المكارم والحق اولى ان يقال انه لو لم يقم لنا القرآن بهذه الخدمة لما تسنى لنا قبولها من غيره

قال الراعي ولماذا لم يقم القرآن بهذه الخدمة قبل الآن وهو بين ايديكم منذ نعومة[١] اظفاركم ؟

اجاب الشيخ الهريدي كان بين ايدينا مقفولاً فلما فتحناه نطق وهدى، فالحمد لله على الهدى ، ونيلِ الفدا

قال الراعي كيف به مقفولاً وانتم تترنمون به صبحاً وعشياً

اجاب الشيخ بدر كنا نترنم بحرفه ونعجب بوزنه ولكن لم نتأمل في روحه ولم نلتفت الى مدلوله . فلما اراد السميع العليم هُدانا اقترح احدنا ان نسبر[٢] غور[٣] آياته على مثل ما تعملون بانجيلكم في كنائسكم صباح كل احد حيث تبحثون آي الانجيل واحدة فواحدة وهكذا تناظرنا وتجادلنا حتى ظهرت الحقيقة بقوة البرهان فقبلناها[٤] وقبلناها . . . قال الراعي انني آسف جداً لعدم

---

(١) منذ طفوليتكم لما كانت اظفاركم ناعمة (٢) نمتحن ونختبر (٣) باطن

(٤) فصدقناها واخذناها

اهتمام ابناء المسيحية بمساعدة امثالكم المجاهدين في طريق الاهتداء الى الحق الانجيلي وسأذكر لهم ذلك يوماً من الايام حتى لا يعكفوا على مساعدة واجتذاب المسيحيين فقط تاركين الباب مقفلاً في وجوه غير المسيحيين من يهود ومسلمين ووثنيين كأن المسيحية احتكار لهم

اجتمعت الكنيسة الاحد التالي فانتصب الراعي وقال موضوع كلامي هذا الصباح « حق الكرازة[١] على بنيها » وذلك من قول السيد المسيح لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨: ١٩ و٢٠) ثم انه بسط القول بسطاً كافياً وشرح الموضوع شرحاً وافياً واوضح المسئولية التي على الكنيسة للعالم الذي لا يمكن ان يؤمن ما لم يسمع ولا ان يسمع بلا كارز[٢] وحض[٣] الكنيسة على الكرازة واعلان حق الانجيل بلا خجل ولا تهيب حتى يظهر بره[٤] الى كل وعلى كل الذين يؤمنون وتكون لهم الحياة الابدية

---

(١) الدعوة الى دين النصرانية (٢) بلا داعي للدين (٣) وحث
(٤) احسانه وصلته ورفقه

ثم انه اخبرهم بما سمعه من المتنصرين وقال انه وان كان فرحنا بهداهم عظيماً بواسطة النور الضئيل[١] الذي ساروا في ضوئه حتى وصلوا الى حقيقة الانجيل الا انه كان فرحنا يكون اعظم لو اننا ونحن مصابيح الله الساطعة وانوار العالم المضيئة اشرقنا عليهم وكفيناهم ما لقوه من التعب في البحث والمشقة في الاستقصاء[٢] والاستقراء[٣] . مبارك الله الجواد الكريم الذي لم يترك نفسه بلا شاهد والذي ارسل انواراً اخرى لهداية مختاريه في الوقت الذي فيه ضننتم[٤] انتم بما عندكم من النور فلتتأثر[٥] بذلك كل نفس وليعتبر بما صار كل عقل وكل فكر فنأخذ على نفوسنا عهد النشاط والغيرة والحماس[٦] للكرازة الموضوعة مسئوليتها على اكتافنا

ثم انه جثا على ركبتيه فجثا الجمهور وطفقوا[٧] يقدمون صلوات وابتهالات كثيرة معترفين بتقصيرهم ومتعهدين بالقيام بواجبهم من نحو خلاص الآخرين . . . وسرني ان اقول انهم بعد

---

(١) الضعيف (٢) بلوغ الغاية في البحث (٣) تتبع الشيء لمعرفة احواله وخواصه (٤) بخلتم وحرصتم (٥) فلتحس وتشعر وتعتبر متألمة من جراء الاهمال الماضي . و الاثر ما بقي من رسم الشيء بعد ذهاب عينه (٦) الشجاعة (٧) ابتدأوا

ذلك ضاقت بهم محلات العبادة لكثرة وفود العابدين وحصلت يقظة دينية لم يسبق لها مثيل وظهرت الافراح الحقيقية على وجوههم . وكان العابر يسمع في طريقه الصغار والكبار يترنمون ويرتلون بمزامير وتسابيح واغاني[1] روحية في البيوت والحارات . وصارت الاجتماعات معزية[2] وكانوا بطيبة قلب وانشراح صدر يضيفون بعضهم بعضاً كاخوة في عائلة واحدة مرتبطين برباط المحبة الاخوية المسيحية في الايمان الواحد بالرب يسوع المسيح له المجد في جماعة قديسيه المعترفين باسمه . آمين . انتهى

---

[1] جمع أغنية بضم الهمزة وكسرها نوع من الغناء والترنم

[2] مسلية ومصبرة ومفرحة لقلوب المؤمنين

اسأل الله تعالى ان يعزينا بروحه القدوس، ويقدس منا القلوب والنفوس، انه رؤوف رحيم . آمين

فهرست الكتاب

وجه
٣ مقدمة
٦ الاقتراح
١٤ المطارحة الاولى — قول ذوي الفضل في نيابة آدم عن النسل
٣٠ المطارحة الثانية — بحث العلماء الاعلام في قضية الشفيع العام
٤٥ المطارحة الثالثة — استئناف الكلام في النيابة والشفيع العام
٥٧ المطارحة الرابعة — شوق الطروب في معرفة المصلوب
٧٥ المطارحة الخامسة — نظر الزمان في الهامية القرآن
٩٢ المطارحة السادسة — الثلاثة الابطال في حومة الجدال
١٠٥ المطارحة السابعة — تعريف القرآن الصريح في تبيان مقام المسيح
١٢٠ الخاتمة